



جامعة الدول العربية



دليل مؤلفي كتب التاريخ المدرسية

على دراب مشترك

مقاربات منهجية جديدة لتصحيح
صورة "الأخر" في كتب التاريخ المدرسية
في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي
- حالة منطقة المتوسط -

المحتويات

7 تقديم

11 مقدمة

القسم الأول : الهوية والتعددية 15

التحديات التي تواجه مؤلفي كتب التاريخ المدرسية

- دور تدريس التاريخ 16
- إرشاد التلاميذ في استشفاف التاريخ 17
- التحديات في تأليف كتب التاريخ المدرسية 18
- احترام تاريخ الآخر 21
- أوجه الحذف والتشويه 23
- الحساسيات الدينية والثقافية 26

القسم الثاني : التعرف على أشكال التلاقي الإيجابي مع الآخر 31

- الفلسفة والعلوم في العصور الوسطى 31
- التجارة في العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث 38
- الأندلس: دراسة حالة التعايش الديني والتسامح الثقافي 40
- الفن والعمارة 43

القسم الثالث : التعرف على نماذج للتاريخ المحمل بجوانب عاطفية وجدلية، وتقديم بدائل مقترحة

51	
52	 • الفتوحات الإسلامية
55	 • الحملات الصليبية
60	 • أوروبا والإمبراطورية العثمانية
64	 • الاستعمار الأوروبي
68	 • أوروبا والصراع العربي-الإسرائيلي
71	 الخاتمة
73	 المراجع

يأتي هذا الدليل الإرشادي ضمن إصدارات مشروع "صورة الآخر في الكتب المدرسية الأوروبية والعربية والإسلامية"، وهي شراكة قائمة بمبادرة من اليونسكو- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة- وجامعة الدول العربية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- ومؤسسة أنا ليند الأوروبية ومتوسطة للحوار بين الثقافات، والمعهد السويدي في الإسكندرية، وذلك بالتعاون مع القطاع التعليمي في منظمة اليونسكو (قسم تعزيز الإدراج وجودة التعليم) ومعهد جورج إكيرت لأبحاث الكتب الدراسية الدولية. وقد قام بإعداد هذا الدليل مجموعة من الخبراء العرب والأوروبيين، وهم :

- فوزية العشماوي (أستاذة الحضارة العربية والإسلامية، جامعة جنيف)
- فولفرا راييس (أستاذ تاريخ الأديان، جامعة فيينا)
- نورالدين دوجي (أستاذ التاريخ، جامعة منوبة، تونس)
- مايكل رايلي (مدير مشروع التاريخ المدرسي، المملكة المتحدة)
- مصطفى حساني إدريسي (أستاذ تدريس التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط)
- دافيد ثورفييل (أستاذ مشارك تاريخ الأديان، جامعة سوديرتو، ستوكهولم)

مراجعة وتحرير : د. مايكل رايلي

تقديم

يعد التأسيس لثقافة سلام تقوم على توجه إنساني جديد يكفل تعزيز وترسيخ مبادئ التفاهم والتصالح والحوار بين الأمم والشعوب مسؤولية جسيمة تتحمل أعباءها جميع مكونات المجتمع الدولي دون استثناء. وبالتالي فإن حماية وتعزيز التنوع الثقافي وريفته المتمثل في حوار الثقافات يبقى من بين التحديات الراهنة الملحة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي. فما أحوجنا اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى الحوار بين الثقافات والحضارات بوصفه السبيل الأنسب والوحيد لمواجهة مختلف أشكال عدم التسامح التي يعج بها عالمنا المعاصر. فكثيرة هي مظاهر التنافر والتوتر التي تسود العلاقات الدولية، خصوصا بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي، بما في ذلك منطقة البحر الأبيض المتوسط.

وتزداد أهمية هذا التحدي بحكم الأحداث التي عاينها خلال السنوات القليلة الماضية. فقد ساهم طغيان النظرة النمطية التي تركز على الاختلاف الثقافي والديني في بلورة تصورات مشوهة عن العالمين العربي والإسلامي، وكذلك كان نصيب أوروبا في مناطق أخرى. وبما أن مبررات عدم التسامح والأحكام المسبقة والتمييز مردودة على أصحابها بكل المعايير الكونية، فإننا نسعى ، كل من موقعه، إلى التعاون والتنسيق الوثيقين مع نظرائنا الإقليميين والدوليين الذين يشتركون معنا في الرؤية والإرادة الحازمة إلى مواجهة الأسباب الجوهرية لانتشار الأحكام المسبقة والفرقة والكراهية باستخدام قوة المعرفة والإعلام والتربية والتعليم.

لا أحد ينكر أن سيادة المعلومات والتصورات المغلوطة عن الآخر، والجهل على الخصوص، تعد من أهم العوامل المسؤولة عن تفشي الكراهية والصدام وانعدام الاستقرار. ومن ثم فإن لنا جميعاً أدواراً حاسمة يتعين علينا الاضطلاع بها على المستوى الفردي والجماعي والدولي من أجل التصدي للعوامل المسببة للميز وعدم التسامح الديني وكل ما يترتب عنه. وتشمل مسؤوليتنا في المقام الأول بلورة رؤية تمهد لنا الطريق نحو عالم أفضل يقوم صرحه على دعائم التسامح والعدل والتنوع الثقافي والاحترام المتبادل والعلاقات السلمية بين مكوناته.

ويجب أن تتركز رسالة التربية والتعليم على تعزيز التسامح والتفاهم والاحترام المتبادل، ونبذ الترويج للصور النمطية بجميع أشكالها. وهذا يدعو بدوره إلى إدماج حوار الثقافات والحضارات والأديان في المناهج الدراسية لمختلف المستويات من أجل مساعدة الأجيال الصاعدة على فهم الاختلافات الثقافية والدينية واحترامها.

ولقد اضطلع الشركاء في إعداد هذا الدليل الإرشادي بدور ريادي في هذا الإطار، حيث تضافرت جهود اليونسكو، وجامعة الدول العربية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو-، ومؤسسة أنا ليند الأوروبية للحوار بين الثقافات، والمعهد السويدي بالإسكندرية، وبالتعاون مع معهد جورج إيكير ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي في جمهورية مصر العربية، من أجل التصدي لقضية صورة الآخر في الكتب المدرسية الأوروبية والعربية والإسلامية. ومنذ سنة 2004، تركّز عملنا على تحسين صورة الآخر في المناهج التعليمية، بدءاً بتقييم مشترك لكتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي. وقد أعطينا الأولوية في إطار هذا التعاون للبحث عن تواصل أفضل بين الثقافات انطلاقاً من إيماننا بأن

التوظيف المشبوه للقضايا الثقافية والدينية هو مصدر كل مخاطر التمييز والنزاع والمركزية الحضارية. وبالتالي، فإن هذه الجهود المشتركة تعد خطوة إيجابية في اتجاه تكريس ثقافة العدل والسلام وترسيخ قيم التعدد الثقافي وأسس التحالف بين الحضارات.

ويعد "دليل مؤلفي كتب التاريخ المدرسية" أول إنجاز مهم في إطار هذا التعاون. ونحن نسعى من خلال إعداده إلى الانفتاح على العاملين في حقل التربية والتعليم ومؤلفي كتب التاريخ المدرسية ومعدّي المناهج ذات الصلة ممن لهم تأثير عميق على تصورات التلاميذ. وبحكم إيماننا بقيم التواصل والانفتاح واحترامنا لحرية التفكير والتعبير، فإننا نشجع جميع الأطراف المعنية بإعداد كتب التاريخ المدرسية على الأخذ بتوصيات هذه الوثيقة التي أعدها فريق دولي من الخبراء من أوروبا والعالمين العربي والإسلامي. فقد أنتج هؤلاء بفضل خبرتهم الأكاديمية والتربوية والتعليمية ومنهجهم العلمي الرصين وثيقة قيمة ينبغي الاسترشاد بها بوصفها مرجعاً أساسياً في إعداد مناهج لمادة التاريخ يراعى فيها الحرص على تكريس رؤية أكثر توازناً تجاه الحساسيات والقضايا والوقائع المختلفة.

وانطلاقاً من التجارب الناجحة لبلدان من صفتي المتوسط، تشدد الوثيقة على ضرورة اعتماد منظور متعدد ومنصف في تقديم تاريخ الآخر وثقافته وديانته للمتعلمين. وبذلك فهي تمهد السبيل لمقاربة جديدة تشجع ثقافة السلام والتفاهم وتسعى إلى ترسيخ حوار الحضارات كمكون من مكونات العملية التربوية. ولهذه الغاية، فهي تقدم طرائق بديلة لطرح القضايا الخلافية وتؤكد على أهمية اللقاءات الإيجابية والتفاعلات والتأثير المتبادل بين شعوب شمال حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوبه.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر المؤلفين على جهودهم في إبراز الدور الذي يمكن أن تضطلع به الثقافة والتربية والتعليم في تعزيز الفهم والتفاهم وترسيخ قيم التنوع الثقافي والتعددية الحضارية والتعايش بين الشعوب من أجل غد أفضل للجميع.

د.عبد العزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة
-إيسيسكو-

إيرينا بوكوفا

المديرة العامة لليونسكو
منظمة الأمم المتحدة للتربية
والعلم والثقافة

عمرو موسى

الأمين العام
لجامعة الدول العربية

برجيتا هولست العاني

مديرة المعهد السويدي
بالإسكندرية

أندرية أزولاي

رئيس مؤسسة أنا ليند
الأورومتوسطية للحوار
بين الثقافات

مقدمة

شهدت العقود الأخيرة زيادة بالغة في طرق التلاقي بين الأوروبيين والعرب والمسلمين. وقد أصبح التلاقي بين الشعوب ذات الخلفيات المختلفة جزءاً طبيعياً من الحياة اليومية بفعل العولمة، كما أن أنماط الهجرة والانتقال في مرحلة ما بعد الاستعمار تسببت في تغييرات مهمة في البنى الديمغرافية للدول القومية التي كانت أكثر تجانساً فيما مضى في أوروبا وأنحاء العالم. وصارت السياسة والاقتصاد والثقافة تتجاوز الحدود الوطنية بشكل متزايد. فنحن نحيا في زمن أصبحت فيه التعددية في مجتمعاتنا أكثر وضوحاً مما كانت عليه فيما سبق. ولكنه للأسف زمن باتت فيه العلاقات بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي كذلك مهددة بتيارات قائمة على القطبية والعداوة.

ويولد أطفالنا ليجدوا أنفسهم داخل هويات محددة سلفاً ويتربون في مجتمعات تسودها روايات محددة عن الماضي، فلا تتاح للأطفال والنشء الفرصة دائماً لتأمل انتماءاتهم المجتمعية عن بعد أو التوقف وقفة نقدية أمام ما يسمعون به بشأن الشعوب والمجتمعات الأخرى. وفي نفس الوقت، ونظراً إلى كون الأطفال والنشء هم الأكثر تعرضاً للتغيرات الاجتماعية، فكثيراً ما قد يشعرون بالآثار المباشرة للعولمة بدرجة أكبر مقارنة بأبائهم وأمهاتهم ومدرسيهم. ومن هنا تتجلى الأهمية القصوى لدراسة التاريخ في المدارس من منظور تعددي وبمنهاج نقدي.

ويمكن للكتب المدرسية أن تلعب دوراً حيوياً في مساعدة التلاميذ على تكوين فهم معمق للتاريخ، إذ يمكن لها أن تساعد النشء على طرح الأسئلة والإجابة عليها فيما يتعلق بالحاضر عن طريق التفاعل مع الماضي، كما يمكن لها أن تثير فضول التلاميذ وأن تعمل على تفاعلهم مع المواقف التي تحمل ما مرّ به البشر في الماضي من مواقف معضلة أو قاموا به من اختيارات أو تبنوه من عقائد وقناعات. كما يمكن لكتب التاريخ المدرسية أن تساعد النشء على

تنمية وعيهم بهوياتهم من خلال فهم ثقافتهم وثقافات الغير. وبينما يقوم النشء بتنمية فهمهم لطبيعة الدراسة التاريخية، يمكن للكتب المدرسية أن تشجعهم على طرح أسئلة مهمة عن الماضي وتحليل الأدلة وتقييم مختلف التفسيرات والتأويلات الموجودة للتاريخ.

وهناك الكثير من الدراسات الأكاديمية التي تتناول صورة الآخر في الكتب المدرسية، ومنها ما يركز على الصور النمطية وأشكال سوء التفاهم وسوء التأويل التي ما تزال موجودة أحياناً في الكتب المدرسية الأوروبية والعربية الإسلامية. وتسعى مثل هذه الدراسات المتخصصة إلى تصحيح الكثير من الأفكار الواردة في كتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي والتي تعجز عن تقديم صورة دقيقة تمثل الآخر. وإن الهدف من هذا الدليل الإرشادي لا يصب أساساً في نقد الكتب المدرسية السابقة والحالية، وإنما يسعى إلى تقديم مقترحات حول كيف يمكن لمؤلفي الكتب المدرسية تبني مقاربة منهجية لدراسة التاريخ بما يمنح التلاميذ فهماً أكثر عمقاً فيما يتعلق بالآخر. ويهدف هذا الكتاب أيضاً إلى تحفيز مؤلفي الكتب المدرسية وتشجيعهم عبر تقديم بعض الأفكار التي يمكن الاستعانة بها في التعامل مع مجال رحب من الموضوعات والقضايا التاريخية. ويعتمد هذا الكتاب على نماذج إيجابية من كتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي، وذلك في سبيل مساعدة المؤلفين على تنمية وتطوير مجال أوسع من استراتيجيات تأليف كتب تاريخ مدرسية تتسم بالدقة والجاذبية، بما يعزز فهماً قائماً على قدر أكبر من العمق فيما يتعلق بأنفسنا وبالآخر. ويقوم هذا الدليل الإرشادي على ثلاث فرضيات، وهي كالآتي :

1. إن كتب التاريخ يجب أن تعكس التنوع في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي. فقد اتسمت المجتمعات في أوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا دائماً بالتعددية والتنوع ثقافياً ولغوياً ودينياً، وقد كان هذا هو الحال قبل ظهور الديانات الثلاث القائمة على التوحيد، أي اليهودية والمسيحية والإسلام، وهي سمة ما زالت قائمة إلى يومنا هذا. ويجب على كتب التاريخ المدرسية مساعدة التلاميذ على التعرف على تاريخ المجتمعات وتحديد الملامح المميزة لها، كما يجب عليها أيضاً أن تشجع

التلاميذ على دراسة التعددية والتنوع الثقافي والعرقي والديني داخل هذه المجتمعات.

2. يجب على كتب التاريخ المدرسية الإشارة إلى الجوانب الإيجابية لأشكال التلاقي ما بين الثقافات.

إن تاريخ مجتمعاتنا غني وذو أوجه متعددة، فعلى مدار التاريخ أدى التلاقي بين البشر إلى حدوث تلاقح فيما بينها في المعارف والخبرات، وهو ما انعكس إيجاباً على نمو مجتمعاتنا وازدهارها بفضل مظاهر التفاعل الثقافي فيما بينها، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك: العصر العباسي والفترة التي شهدت انتقال التراث العربي الإسلامي والتراث الإغريقي إلى أوروبا. ويسعى هذا الدليل إلى تعزيز الرؤية المتوازنة لفترات التلاقي التاريخي بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي، وهو في ذلك لا يدعو إلى تجاهل سلبيات التلاقي وإنما يركز على الحاجة إلى توسيع مدارك التلاميذ من حيث المعرفة والفهم، وذلك من خلال التركيز أيضاً على الجوانب الإيجابية المتعلقة بالتلاقح الثقافي عبر مسيرة الحضارة الإنسانية.

3. يجب على كتب التاريخ المدرسية مساعدة التلاميذ على تنمية وتطوير مقاربة منهجية متعددة المنظور في دراسة الماضي.

إن تعددية المنظور هي عملية نقوم خلالها بالأخذ في الاعتبار عدة وجهات نظر بالإضافة إلى وجهة نظرنا، وتجعلنا نعي بأن رأينا الشخصي قد يعكس شيئاً من التحامل والتحيز وعدم الموضوعية. وتفترض تعددية المنظور وجود قدرة وإرادة لتأمل موقف ما من زوايا مختلفة، وأن يضع المرء نفسه في موقع الآخر وينظر إلى العالم من منظور هذا الآخر. وبذلك يصبح التلاميذ قادرين من خلال تعددية المنظور على تحليل وتأويل الآراء المختلفة والمتباينة، وعلى التعرف على مواضع الخلاف في الرأي، واحترام تقاليد الغير حتى عند الاختلاف معها. وهكذا تتيح تعددية المنظور تدريس القضايا الحساسة والمثيرة للجدل، وذلك عن طريق مساعدة التلاميذ على الاعتراف بمدى ما تتسم به تلك القضايا من تعقيد. وبإمكان كتب التاريخ المدرسية أن تلعب دوراً حيوياً في تدعيم المقاربة القائمة على تعددية المنظور، وذلك بإفصاح المجال



أمام التلاميذ للتعرف على مجال واسع من التأويلات المتنافسة بما يتيح لهم الانفتاح على ثقافات غيرهم، على ألا تتجاهل هوياتهم وخصوصياتهم الثقافية.

ويتكون هذا الدليل الإرشادي من ثلاثة أقسام أساسية، يقوم القسم الأول منها بمناقشة التحديات التي يطرحها التنوع والتعددية، وأهمية تدريس التاريخ للنشء، والتحديات المتعلقة بتأليف كتب التاريخ المدرسية، مع الالتفات بشكل خاص إلى الحساسيات الدينية والثقافية. ويقوم القسم الثاني بعرض عدد من الاستراتيجيات المستخدمة لمساعدة التلاميذ في التركيز على بعض أشكال التلاقي الإيجابي بين شعوب أوروبا والعالم العربي الإسلامي. وقد اتسمت العلاقة بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي للأسف أحياناً بسوء الظن والصراع والعنف، وهي جوانب سلبية يجب ألا يتم تجاهلها بل يجب أن تتيح حصة التاريخ مساحة "آمنة" ومثيرة فكرياً للنشء فيدرسوا فيها ما يمثل عادة روايات تاريخية محملة بأوجه من العاطفة والجدل. وهو ما يفسر تركيز القسم الثالث من هذا الدليل على كيف يمكن لمؤلفي الكتب الدراسية مساعدة التلاميذ على دراسة الروايات التاريخية المحملة بجوانب عاطفية مثيرة للجدل بأساليب لا تثير عدم التسامح والعداوة. ويقدم الدليل خمس دراسات حالة لقضايا تاريخية لها أصدائها حتى اليوم في العالمين العربي والإسلامي وفي أوروبا. ويتم في كل حالة منها مناقشة بعض الحساسيات المحيطة بالحدث أو العصر موضوع النقاش، كما يقدم هذا الدليل مقترحات ببعض المقاربات التربوية التي قد يجدها مؤلفو الكتب المدرسية ذات فائدة.

ولدينا العديد من النماذج لكتب تاريخ مدرسية ممتازة في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي، وقد حاول كثير من المؤلفين تصوير الأحداث السياسية المحملة بحساسيات بما يتماشى مع مبادئ التعددية والتنوع وتعددية المنظور المعروضة في هذا الدليل. ويشير هذا الدليل الإرشادي إلى مثل تلك الأمثلة، كما يحاول نشر ما تقوم عليه من مبادئ لتصل إلى جمهور أوسع. ومما لا شك فيه أن لهذا الدليل أوجه قصور، فالاستراتيجيات المقترحة لا تمثل بالطبع قائمة كاملة بالمقاربات الممكنة، وإنما هي مجرد مجموعة من الأسئلة المعتمدة على الممارسة الفعالة والتي ربما يجدها مؤلفو كتب التاريخ المدرسية مفيدة.

القسم الأول

الهوية والتعددية

التحديات التي تواجه مؤلفي كتب التاريخ المدرسية

إن هوياتنا ليست مفردة ولا ثابتة. وإن تصنيف شخص ما باعتباره في الأساس فرداً ينتمي إلى "العالم الغربي" أو "العالم الإسلامي"، بناءً على مجرد كونه من مواليد منطقة ذات ثقافة ما، هو أمر يختزل الناس في بعد واحد. إننا جميعاً في حاجة إلى فهم التنوع الغني داخل الثقافات وبالتالي التعددية التي تتسم بها هوياتنا، كما أننا في حاجة أيضاً إلى الاعتراف بأشكال التفاعل المركبة داخل الثقافات وفيما بينها. ويتعين على النشء في العالمين العربي والإسلامي وفي أوروبا إدراك أن الهويات تتأثر بالتفاعل والتلاقح الثقافي وتتسم بالمرونة والتغير والتداخل.

ويجب أن يصبحوا قادرين على فهم أن الناس الذين يرونهم "مختلفين" إنما يتمتعون بتراث قيم، كثيراً ما يتداخل مع تراثهم هم أنفسهم.

ومع ذلك فإن تسليط الضوء على أوجه الصلة والجوانب المشتركة والجوامع الثقافية لا يعني بالضرورة تجاهل الاختلافات، فالاختلاف قائم بين المجموعات والأفراد فيما يتعلق بأمور كأنماط الحياة والمواقف الأخلاقية والأيدولوجيات السياسية والتوجهات العقائدية. وقد كانت هذه التعددية والتنوع سمة مهمة في أوروبا والعالم الإسلامي، فقد عاش المسيحيون والمسلمون وغيرهم جنباً إلى جنب على مدار ما يزيد على ألفية ونصف من الزمان. ولكن يمكن أن تنشأ احتكاكات في الأوقات التي تتسم بصعوبة الحياة وغياب الأمن، ونتيجة لذلك قد تتزايد أيضاً الرغبة في وجود بنية محددة وهوية مفردة. ولا يتم حل الاحتكاك الناجم عن التعددية الثقافية في الحياة اليومية بالأحلام الوردية عن التجانس المجتمعي أو التوافق الأيدولوجي



الكامل. ولكن ربما يمكننا الاتفاق على أن تعريف الذات هو حق من الحقوق العليا، فاحترام الذات وتاريخ الذات هو من متطلبات احترام الآخر. ولا يمكن تقدير الثقافات والديانات وأنماط الحياة المغايرة والانفتاح عليها إلا إذا كان الفرد يشعر بالاعتراف والاستقرار الاجتماعي والتقدير بناء على مكانته وشخصيته.

● دور تدريس التاريخ

إن معرفة التاريخ وفهمه أمر ضروري لتنمية الاعتزاز بالنفس و احترام الآخرين، ويعتبر التاريخ مصدراً يثري التلاميذ بالنافذة التي يفتحها أمامهم للتعرف على المآزق والخيارات والعقائد التي عايشها البشر في الماضي، كما يساعدهم على تنمية هوياتهم عبر فهم مجتمعاتهم ومجتمعات الغير. وتتمثل أهمية التاريخ أساساً في مساعدة التلاميذ على طرح الأسئلة بشأن الحاضر والإجابة عليها، وذلك عن طريق تفاعلهم مع الماضي. ومن خلال دراسة التاريخ ينمي النشء مهاراتهم التي تعدهم لحياة الكبار، حيث يتعلمون طرح الأسئلة المهمة والإجابة عليها، وتقييم الأدلة، وتحليل التأويلات المختلفة وتدعيم الآراء والأحكام التي يتوصلون إليها. وفي عصر يشهد تغيرات سريعة ومربكة، تصبح دراسة التاريخ وسيلة لتمكين النشء من اتخاذ مواقف مبنية على المعرفة والفكر بشأن الأمور ذات الأهمية الإنسانية العميقة. فمقرر التاريخ الذي يصاغ بدقة يمكن التلاميذ من مواجهة التنميط وتجنب التسطيح وتنمية فهم معمق للروايات التاريخية ذات الجوانب المثيرة للجدل

ونجد أن مدرسي التاريخ ومؤلفي كتب التاريخ المدرسية يلعبون دوراً حيوياً في مساعدة النشء على تنمية هوياتهم وعلى فهم التعددية والتنوع القائم في المجتمعات المختلفة، إذ يمكنهم المساهمة في تربية نشء يتمتع بالفضول المعرفي والقدرة النقدية والاستقلالية والانفتاح العقلي في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي. كما يمكن لهؤلاء المدرسين والمؤلفين تشكيل وعي التلاميذ وتوفير الأدوات الفكرية التي تتيح لهم تناول الموضوعات من وجهات نظر مختلفة. فالمقاربات التي تقدّم للتلاميذ معرفة عن تاريخ ثقافتهم ومجتمعهم والتفسيرات والتأويلات المختلفة المتعلقة بتلك الثقافة والمجتمع،

والتي تعلّمهم في نفس الوقت تاريخ وتأويلات الآخر، يمكن أن تساعد التلاميذ على التعامل بطريقة بناءة مع التنوع الثقافي والتعددية الحضارية، وتوهمهم لقبول الاختلافات والعيش بسلام في عالم تعددي.

● إرشاد التلاميذ في استكشاف التاريخ

إن دراسة التاريخ تعني القيام برحلة عبر الزمان واكتشاف أماكن وثقافات قد تكون غير معروفة وغير مألوفة لدى التلاميذ. ويمكن لحصص التاريخ أن تساعد التلاميذ على استكشاف عالم بعيد عنهم عبر فهم تجارب وقيم البشر في الماضي. ويمكن للمدرسين ومؤلفي الكتب المدرسية مساعدة التلاميذ على انتقاء الحقائق وتقييم المصادر وشرح الأحداث والمواقف، ويمكنهم بالتالي إشراك التلاميذ في عملية بحث تاريخي ومساعدتهم على تكوين آرائهم الذاتية بشأن الأشخاص والمواقف والأحداث التي عرفتھا العصور الماضية. وبذلك يضطلع تدريس التاريخ بدوره في مساعدة التلاميذ على تنمية آرائهم الشخصية بمنأى عن الأحكام المسبقة والصور النمطية وبناء على قاعدة من احترام الأدلة التاريخية.

وفي إطار هذا المسعى نحو المعرفة، لا مفر من خوض تجربة التعامل نفسياً مع صراعات وجراح الماضي، فيجب تعريف التلاميذ بالقضايا التاريخية الجدلية والحساسة مثل حكايات العنف الجماعي، والحروب والحملات الصليبية والاستعمار. ولكن كيف يجب تدريس هذه القضايا الجدلية؟ يتعين على المدرسين ومؤلفي الكتب المدرسية التعامل مع هذه الموضوعات بشكل مباشر، مع وجود خطورة في وضع حدود فاصلة بالغة الصرامة ما بين "نحن" و"الآخرين". وفي سبيل تجنب مثل تلك المخاطر يجب اتخاذ تدابير منهجية، فيتعين وضع المقابلة بين "نحن" و"الآخر" في سياقها، ولا يجب تقديم الآخر باعتباره مصدراً يهدد هويات معينة بل باعتباره شرطاً من شروط حيويتها.

ولعل أهم نقطة جديرة بالذكر هنا هي أن التاريخ يتسم بالإشكالية وأن تدريس التاريخ وكتبه المدرسية يجب ألا يدعو إلى حقائق مطلقة أو أمور قطعية مؤكدة. فالتاريخ فرع معرفي يتضمن خطاباً نقدياً وتتفاعل فيه الآراء



المتعارضة والمتنافسة. وإن إثارة اهتمام التلاميذ بالجدل التاريخي ومساعدتهم على دراسة عدد من التأويلات التاريخية المتتابعة يمثل عنصراً جوهرياً في تنمية فهمهم للتاريخ كمجال معرفي. ومن المهم أن تشرح الكتب المدرسية للتلاميذ أن المسائل العاطفية والجدلية في التاريخ هي أمور تتيح تأويلات متنوعة بل وأحياناً متنافسة. ويمكن لمؤلفي الكتب المدرسية أن يساعدوا التلاميذ على تجاوز الفهم المبسط والأحادي لأحداث ومواقف الماضي، وذلك من خلال تعريف التلاميذ بمختلف تفسيرات وتأويلات التاريخ.

● التحديات في تأليف كتب التاريخ المدرسية

يكون من المرجو أحياناً من كتب التاريخ المدرسية أن تخضع لمتطلبات سياسية ما ويكون لزاماً عليها أن تستجيب للضغوط التي يفرضها السياق الاجتماعي الثقافي الذي تدرس فيه. ففي بعض المجتمعات المعاصرة يتم فرض ذكريات خاصة بمجموعات أو مجتمعات بعينها في كتب التاريخ المدرسية. ولكن إذا كان لنا أن نفسح مجالاً للذكريات والتراث داخل الخطاب التاريخي في المدارس، فمن الضروري توخي الحذر لعدم الخلط بين التاريخ والذاكرة. ومن التحديات الصعبة التي يواجهها المدرسون ومؤلفو الكتب مساعدة التلاميذ على تخطي الآراء الأحادية المبنية على أسس غير معرفية، والتي ربما يكونون قد اكتسبوها، ولا أمل في إمكانية مساعدة التلاميذ على الابتعاد عن الانسياق وراء صورة أسطورية للماضي والتوصل إلى فهم تاريخي ذي معنى إلا بتقديم نصوص ومصادر علمية موضوعية تساعد التلاميذ على التعرف على وجهة نظر الآخر.

ويتم تأليف كتب التاريخ المدرسية داخل سياق مقرر دراسي معين للتاريخ، ومن هنا قد يكون من المهم في بعض البلدان مراجعة الإطار العام لتدريس التاريخ وذلك في سبيل تقديم سياق ملائم للكتب المدرسية التي تشجع على تبني فهم لآخر يتسم بقدر أكثر تعقيداً. وهكذا فإن الدول الأوروبية ودول العالم العربي الإسلامي في حاجة إلى مقررات دراسية لا يقتصر تركيزها على المعرفة التاريخية فحسب، بل يتطرق أيضاً إلى المفاهيم والعمليات والمسارات التي يقوم عليها علم التاريخ. فيجب تحديداً أن يدعم مقرر التاريخ المقاربة المنهجية

متعددة المنظور ويجب أن يؤكد الحاجة إلى دراسة التأويلات المختلفة للتاريخ، فبدون ذلك الأساس القوي لمقرر التاريخ يستحيل أن نتصور كيف يمكن للمؤلفين تأليف كتب مدرسية تشجع التلاميذ على تبني مقاربة متعددة المنظور.

ويوجد سياق آخر يمثل قدراً أكبر من التحدي بالنسبة لمؤلفي كتب التاريخ المدرسية، وهو أن حصص التاريخ المدرسية ليست هي المصدر الوحيد الذي ينمي من خلاله التلاميذ معرفتهم وفهمهم عن الماضي، إذ توجد عوامل أخرى تلعب دوراً متزايد الأهمية في تشكيل معرفة النشء وفهمه للتاريخ، ومن هذه العوامل الأسرة والمجتمع والإعلام والمتاحف والإنترنت. وهو أمر يتطلب بالتالي أن يقوم مؤلفو الكتب المدرسية بالتفكير المبتكر في الأساليب التي ينتجون من خلالها الموارد المعرفية بحيث ترتبط بتلك الوسائل الإعلامية الأخرى.

وهناك تنوع بالغ في أغراض وطبيعة كتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي. ففي بعض البلدان يقوم أساتذة التاريخ الجامعيون بتأليف كتب التاريخ المدرسية، وتكون الكتب المدرسية خاضعة لموافقة الحكومة، وكثيراً ما تستخدم كمجرد مورد تعليمي في حصص التاريخ. وفي بعض الدول الأخرى، يقوم المدرسون والعاملون في سلك التربية والتعليم بتأليف الكتب المدرسية، فيتوفر قدر كبير من الكتب المدرسية وغيرها من الموارد التعليمية. ونجد أن هذه الاختلافات القائمة على أرض الواقع تجعل من الصعب التعميم عند الحديث عن التحديات التي تواجه مؤلفي كتب التاريخ المدرسية. ولكن بصرف النظر عن خلفياتهم وأيا ما كان السياق الذي يعملون فيه، فإنه يتعين على المؤلفين أن يطرحوا على أنفسهم ثلاثة أسئلة مهمة، وهي:

1. كيف يمكن تقديم تجربة تعليمية ذات معنى للتلاميذ؟

إن كتاب التاريخ المدرسي الجيد هو كتاب يعلم التلاميذ كيفية التفكير، وهو يحقق ذلك جزئياً من خلال الاختيار الدقيق للمحتوى التاريخي والموضوعات الرئيسية التي تعمل على تعميق الفهم التاريخي لدى التلاميذ. فبدلاً من المبالغة في التأكيد على التاريخ العسكري والمعارك، يجب أن يقوم اختيار المحتوى على إثارة الانتباه إلى التاريخ الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي. فينبغي أن يقدم رؤى عامة بشأن



الملاحم والأحداث والتغيرات المهمة، كما يجب أن يغطي مجالاً متسعاً من المواقف والمعتقدات مع الأخذ في الاعتبار الالتفات إلى تجارب النساء والرجال والتنوع والتعددية في التاريخ الإنساني. إن الكتب المدرسية ذات الجودة والقيمة تتجنب التناول السطحي للتاريخ، فتسعى إلى بناء تراكم معرفي عبر المزج بين العرض الموجز والتناول المتعمق للتاريخ، وعن طريق تنمية فهم التلاميذ للأفكار والمفاهيم والعمليات والمسارات التي يقوم عليها علم التاريخ، والممثلة فيما يلي: السمات المميزة للعصور، التغير والتواصل، السبب والنتيجة، استخدام الأدلة وصياغة التأويلات. ولا يتم تحقيق الدقة الأكاديمية في كتب التاريخ المدرسية من خلال المرور السريع عبر أزمنة شاسعة من الماضي، وإنما من خلال المزج المحكم بين الرؤية العامة وبين المعرفة التاريخية المتعمقة، وبواسطة تنمية فهم عام لعلم التاريخ.

2. كيف يمكن توفير سياق تعليمي مشجع للتلاميذ؟

إن الكتب المدرسية التي تشجع التلاميذ على الاشتراك في مناقشة قضايا تاريخية معينة والتي تقدم أنشطة تعليمية محفزة هي كتب تساهم في جعل عملية تعلم التاريخ تجربة ممتعة. إن صياغة فصول كتب التاريخ المدرسية في إطار من الأسئلة البحثية مثل "ما الأمور التي كانت تهم الناس في قرطبة إبان العصور الوسطى؟" أو "ما هي الأوجه التي ميزت بغداد في العصر العباسي؟" تعتبر من الأساليب التي توفر سياقاً محفزاً على التعلم. ومن المهم أن يفكر المؤلفون في أساليب شيقة يقوم من خلالها التلاميذ بالإجابة على مثل هذه الأسئلة. ويمكن لمدرسي ومؤلفي مقرر التاريخ أن يقترحوا مجموعة من الطرق المشجعة للتلاميذ للتعبير عما توصلوا إليه في محاولة الإجابة على تلك الأسئلة، وهو ما يتمثل في الآتي: كتابة المقالات، عقد المناظرات، تقديم العروض البصرية، صياغة حكايات خيالية، عقد المؤتمرات والمعارض وخطط للمسلسلات التلفزيونية، وغيرها. وهكذا يمكن لكتب التاريخ المدرسية أن تشجع النشء وتحفزه على دراسة التاريخ من خلال الاستعانة بتلك الأشكال الملموسة المعبرة عن خبراتهم التعليمية.

3. كيف يمكن تقريب كتب التاريخ المدرسية من كل النشء؟

يعتبر كثير من النشء مادة التاريخ صعبة، وبالتالي يتعين تأليف وإعداد كتب التاريخ المدرسية بشكل يضمن التبسيط في منهاج تدريس التاريخ، وعدم التبسيط في قراءته وعرض أحداثه وأسبابها وخلفياتها، وذلك لتقريب مادة التاريخ إلى نسبة كبيرة من المتعلمين بتجرد وموضوعية. فيجب مساعدة القراء بتحديد مراحل واضحة ومحكمة البناء في عملية التعلم، فالفصل الذي يبدأ بمصدر جذاب مثل صورة بارعة أو حكاية مثيرة تعدّ القراء للقيام برحلة تاريخية شيقة. ويمكن بعدها أن يتم جذب القراء إلى المزيد من خلال تقديم نص سردي قوي يسلط الضوء على الماضي عبر تجارب الأفراد. ويجب على كتب التاريخ المدرسية أن تقدم الماضي لا باعتباره سلسلة من الأفكار والمفاهيم الصعبة والمجردة، بل على أنه فرع معرفي يشكل البشر جوهره. ونجد أن الكثير من التلاميذ يستصعبون التاريخ لمجرد عدم معرفتهم بالمادة وما تتطلبه من ضرورة الجمع بين عدد من الأفكار في آن واحد. ويمكن لكتب التاريخ المدرسية الجيدة أن تتجاوز ذلك الأمر بتقديم أنشطة متنوعة تساعد التلاميذ على اختيار المعلومات وتتبع الترابط فيما بينها، وتصنيفها والجمع والدمج والتأليف بينها. كما يمكن المساعدة في صياغة النص نفسه باستخدام كتابة نثرية واضحة وحيوية مدعومة بالمؤثرات البصرية كالأشكال البيانية والصور التوضيحية.

● احترام تاريخ الآخر

كثيراً ما يتعامل الأطفال والنشء مع التاريخ عبر النظرة المشوشة التي تقدمها الأساطير المجتمعية ووسائل الإعلام. وعادة ما تكون حكايات الماضي التي يسمعونها انعكاساً لهموم وقضايا معاصرة، إذ يوجد ميل طبيعي عند الحديث عن تاريخ مجتمعنا إلى تذكر الأحداث التي نفخر بها، لا تلك التي نخجل منها. وفي مقابل ذلك، وللأسف، غالباً ما تنعكس الآية عند سرد الروايات بشأن الآخر، فتتم المبالغة في التأكيد على الجوانب السلبية و تجاهل الجوانب الإيجابية.



فبالنسبة للكثيرين من أبناء العالمين العربي والإسلامي، عادة ما يتم الربط بين تاريخ أوروبا وبين أكثر عصورها إثارة للجدل، حيث يتم في العادة تسليط الأضواء على الحملات الصليبية وعلى التوسعات الدموية للإمبراطوريات الأوروبية الاستعمارية باعتبارها ممثلة للتاريخ الأوروبي. وعلى الرغم من الأهمية القصوى لدراسة تلك الأحداث، إلا أنه من المهم أيضاً الإشارة إلى أن معظم الأوروبيين المعاصرين يعتبرون تلك الأحداث جزءاً أساسياً مكوناً لهويتهم الأوروبية في يومنا هذا، بل إن معظمهم يتفق على أن تلك العصور التاريخية مصدراً للكثير من الجدل بل وحتى الخجل. وهكذا يرى كثير من الأوروبيين أن هنالك تطورات تاريخية أخرى يشعرون بأنها على نفس القدر من القوة في تشكيل الهوية الأوروبية. ونجد أمثلة على إنجازات تاريخية يعتز بها الكثيرون من الأوروبيين ويفخرون بها باعتبارها تطورات مهمة في تاريخ أوروبا، وهي أمثلة تتضمن ما يلي: تراث الحضارة اليونانية القديمة، وعصر التنوير ومفاهيم الحركة الإنسانية، والعلمانية وحقوق الإنسان، والتطور التكنولوجي بدءاً من الثورة الصناعية حتى الآن، وتحرير النساء ومنحهن حقوقهن في القرن العشرين.

أما بالنسبة لكثير من الأوروبيين، فعادة ما يتم تعريف التاريخ العربي الإسلامي من خلال بعض جوانبه الأكثر إثارة للجدل. ومن الأمثلة على ذلك مرحلة بدايات الفتوحات الإسلامية على حساب الحكم المسيحي، وكذلك التهديد الذي كانت تمثله الإمبراطورية العثمانية بالنسبة لأوروبا. إلا أنه من المهم الإشارة إلى أن معظم العرب والمسلمين يتفقون على أن تاريخ الثقافة العربية الإسلامية يتميز أساساً بتجارب تاريخية مغايرة وإيجابية، مثل تفاعله الإيجابي مع تراث الثقافات القديمة في اليونان ومصر وبلاد الرافدين وبلاد الفرس، أو التسامح التي اتسمت به التعددية الدينية في الدول الإسلامية، أو العصر التنويري للثقافة العربية الإسلامية في العلوم والرياضيات والفلسفة في العصور الوسطى وإسهامها في مسيرة الحضارة الإنسانية، أو الأهمية الإستراتيجية التي تتمتع بها منطقة الشرق الأوسط في العصر الحديث.

ومن المهم أن يعترف مؤلفو الكتب المدرسية بالجوانب الإيجابية التي تشكل هوية "الأخر". ويلعب مؤلفو الكتب المدرسية دوراً مهماً في تناول جوانب من تاريخهم بما فيها من عناصر مثيرة للجدل، وكذلك جوانب إيجابية هي مثار

للفخر في تاريخ "الأخر". إن الكتب المدرسية التي تتجاهل العلاقات المتداخلة بين أوروبا والعالم العربي الإسلامي، أو التي تبالغ في التركيز على الصراع بين الثقافات، أو تتناول تلك العلاقات من منظور واحد أوحد، إنما تمثل خطورة في التأكيد غير المقصود على وجود هويات فردية موحدة. كما أنها تفشل في الاعتراف بما تمخض عن تاريخ التلاقي المادي والفكري بين أوروبا والعالم العربي الإسلامي من ثراء وغنى

● أوجه الحذف والتشويه

إن الدراسات التي تتناول كتب التاريخ المدرسية الأوروبية والعربية تشير إلى وجود أوجه للحذف والتشويه أحياناً بما يحول دون قيام التلاميذ بتنمية فهم أكثر عمقاً وموضوعية فيما يتعلق بالآخر. ومن المهم التأكيد على أن أوجه الحذف والتشويه لا تعبر عادة عن محاولة واعية لتقديم رؤية ضيقة وأحادية للتاريخ من جانب مؤلفي الكتب المدرسية، وإنما هي نتاج للسياق السياسي والثقافي الأوسع الذي يتم في إطاره تأليف كتب التاريخ المدرسية. وقد كشفت دراسات تحليلية للكتب المدرسية في أوروبا والعالم العربي الإسلامي وجود بعض الأوجه الشائعة للحذف والتشويه.

ف نجد في الكتب المدرسية الأوروبية أنه يتم تصوير أوروبا باعتبارها المحور أو المركز الذي تدور حوله الأحداث التاريخية في بقية أنحاء العالم، إذ يدرس التلاميذ الأوروبيون الثقافتين الرومانية واليونانية باعتبارهما مصدر ثقافتهم الأوروبية، ولكن هذه الكتب تتجاهل أحياناً الإشارة إلى الدور المهم للثقافة العربية الإسلامية كعامل مهم ساهم في تطور أوروبا. فقد تم استخدام ترجمات أعمال العلماء والفلاسفة المسلمين على مدى قرون في أوروبا باعتبارها المورد الأساس لنشأة العلوم والفلسفة الأوروبية الحديثة، وقد قامت تلك الأعمال المترجمة بوضع الأسس والقواعد لغالبية العلوم الحديثة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب، كما لعبت دوراً أساسياً في مجال الفلسفة. وما زال الكثير من المصطلحات العربية المستخدمة في اللغات الأوروبية شاهداً على تأثيرها الثقافي، وما كان للمستكشفين الأوروبيين



أن ينجحوا في اكتشافاتهم العظيمة دون الدراسات الجغرافية والاختراعات العلمية التي قام بها العرب والمسلمون وبخاصة اختراع رسم الخرائط والأسطرلاب، فضلاً عن الكشف الجغرافية التي تمت على أيدي العرب والمسلمين. إلا أن ما يؤسف له أن معظم الكتب المدرسية الأوروبية لا تعترف بفضل العلماء العرب والمسلمين وتتجاهل مساهماتهم الكبيرة في النهضة الأوروبية والحضارة الإنسانية.

وكثيراً ما نجد في الكتب المدرسية الأوروبية إغفالاً للإشارة إلى اشتراك كل من العالم العربي الإسلامي وأوروبا في إرث الثقافة اليونانية، كذلك يتم أحياناً عدم الالتفات إلى مفهوم الأمة الإسلامية والتاريخ الطويل للتسامح الإسلامي تجاه الديانات الأخرى. وهناك بعض الكتب المدرسية التي لا تفسح مساحة كافية لإبراز الحضور الإسلامي والتلاقي الثقافي والديني داخل أوروبا (في إسبانيا وصقلية والبوسنة...)، كما يتم أحياناً تجاهل عصر النهضة العربية في نهايات القرن التاسع عشر. وأخيراً، فمن المجالات المهمة المهملة في الكتب المدرسية الأوروبية موضوع التداعيات المترتبة على الحركة الصهيونية والإحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، في الماضي والحاضر، في وقعها على الفلسطينيين والعالمين العربي والإسلامي كافة.

وأحياناً يمكننا أن نجد أيضاً أوجه حذف وتشويه في بعض الكتب المدرسية في العالمين العربي والإسلامي، إذ يتم أحياناً إغفال التطورات المحورية والأحداث التاريخية في أوروبا، والتي تشكل هوية الكثير من الأوروبيين. كما تميل الكتب المدرسية إلى عدم توجيه القدر الكافي من الاهتمام إلى الكنيسة باعتبارها مؤسسة. فعند مناقشة المسيحية، عادة ما يتم تناولها من وجهة النظر الإسلامية لا من المنظور المسيحي. ومع أن الكتب المدرسية في العالم العربي الإسلامي تشير إلى الصراع بين الدولة والكنيسة في أوروبا عصر النهضة، وإلى حركة الإصلاح داخل الكنيسة وإلى الحروب الدينية التي قامت في أوروبا في بدايات العصر الحديث، على اعتبار أن تلك التطورات التاريخية تركت تأثيراً واضحاً على الهوية الأوروبية، إلا أن بعض الكتب المدرسية في

العالم العربي الإسلامي تتناول عصر التنوير، والعوامل المسببة لمختلف أشكال العلمانية في الدول الأوروبية بطريقة لا تراعي بدقة طبيعة البيئة الأوروبية التي أفرزتها.

وفي الوقت الذي كثيراً ما يتم فيه إهمال مساهمات العرب والمسلمين في الثقافة الأوروبية والحضارة الإنسانية، أو حذفها في الكتب المدرسية الأوروبية، نلاحظ وجود إهمال أو حذف مشابه لذلك فيما يتعلق بمساهمة أوروبا في الثقافة العربية الإسلامية كملح من ملامح بعض الكتب المدرسية في العالمين العربي والإسلامي. إن الثورات العلمية والصناعية في أوروبا أدت إلى قيام مجال متسع من التحولات، ففي القرن التاسع عشر أثرت التطورات التي شهدتها أوروبا في الطب والتربية والتعليم والاتصالات تأثيراً جلياً على العالم العربي الإسلامي. فعلى الرغم من أشكال الصدام العسكري، حدثت أشكال من التلاقح الثقافي والتبادل التجاري والفكري منذ بدايات العصر الاستعماري. ونجد أن بعض كتب التاريخ المدرسية في العالمين العربي والإسلامي تتناول أحياناً تلك الموضوعات ولكنها قلماً تصوّرها من منطلق كونها تتضمن عملية تبادل ثقافي إيجابي بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي.

ومن أوجه التشويه الشائعة في كتب التاريخ المدرسية في كل من أوروبا والعالمين العربي والإسلامي هو التركيز الوارد فيها على الصراع العسكري. إذ تركز بعض الكتب المدرسية في أوروبا على تصوير بدايات التاريخ الإسلامي باعتباره حرباً متصلة ضد الإمبراطورية البيزنطية، فتقدم وصفاً تفصيلياً للمعارك التي دارت بين المسلمين والبيزنطيين. وفي مقابل ذلك، فإن كتب التاريخ المدرسية في أوروبا غالباً ما تتجاهل دور التجار المسلمين في نشر الإسلام في العديد من المناطق والبلدان. كما تقدم كتب التاريخ المدرسية العربية الإسلامية الحملات الصليبية أحياناً باعتبارها حرباً دينية بين المسلمين من جانب والمسيحيين الأوروبيين من جانب آخر، مع الربط المباشر بين الحملات الصليبية والاستعمار الأوروبي. وهي توحى بذلك بأن ما لم يتمكن الصليبيون من تحقيقه بالقوة



العسكرية في العصور الوسطى حاولوا تحقيقه لاحقاً عن طريق "صليبيي العصر الحديث". إن كلا المقاربتين ضارتان، إذ تصور الأولى الإسلام على أنه دين انتشر بالسيف والمسلمين على أنهم "أعداء"، وتصور الثانية الأوروبيين على أنهم مجرد "صليبيين" و"مستعمرين" و"أعداء".

إن المبالغة في التركيز على المواجهات العسكرية عند تناول أشكال التلاقي بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي في الماضي هو ملمح أيضاً يتجلى أحياناً في كتب التاريخ المدرسية في أوروبا، فكثيراً ما يتم إضفاء الكثير من الأهمية على الحملات الصليبية، ثم يتم مواصلة الاهتمام بتاريخ الصدامات مع التركيز على التوسع العسكري للإمبراطورية العثمانية وحصار فيينا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. إن التركيز على هذه الأحداث، وخاصة في سياق الأعمال الإرهابية التي شهدتها بداية القرن الحادي والعشرين، وفي إطار سعي بعض الجهات المغرضة إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين وإذكاء نزعة "الإسلاموفوبيا"، يسهل رسم صورة للإسلام على أنه يمثل تهديداً متواصلاً وخطراً على أوروبا. إن الرواية الأوروبية القائمة على الصدامات المستمرة بين أوروبا والعالم العربي الإسلامي هي صيغة غير مدعومة تاريخياً بنفس القدر الذي يجعل الاعتقاد بأن العالم العربي الإسلامي معرض للهجوم المستمر من أوروبا صيغة هي الأخرى غير مدعومة.

● الحساسيات الدينية والثقافية

تتضمن الفصول الدراسية في بعض الدول الأوروبية حالياً نسبة كبيرة من التلاميذ المسلمين، ولذا يجب على مؤلفي كتب التاريخ المدرسية المستخدمة في المدارس الأوروبية احترام تواجد المسلمين، وذلك بإعداد كتب مدرسية متوازنة تفسح مساحة كافية لتاريخ العالم الإسلامي. ومن المهم تحديداً أن يتم تأليف هذه الكتب بأسلوب يعبر عن معرفة صحيحة واحترام لما قد يحمله هذا النشء المسلم من عقيدة وثقافة.

ومن المسائل المثيرة للاهتمام والتي يتم تسليط الضوء عليها في عديد من الدراسات التي تتناول الكتب المدرسية هي ما يشوبها من عدم الدقة في استخدام مختلف المصطلحات، وهو الأمر الذي قد يؤدي مثلاً إلى تشكيل رأي سلبي عن "الشريعة"، وهي مصطلح يكاد يرتبط دائماً في السياق الأوروبي بقوانين العقوبات المشددة وتفسيراتها المتشددة في بعض الدول الإسلامية. وبالتالي تشير "الشريعة" في المنظور الأوروبي عادة إلى مجرد عقوبات الجلد والرجم والبتن. ومن هنا يجب على مؤلفي الكتب المدرسية الأوروبية وضع مصطلح الشريعة في سياقه الصحيح، مع شرح وتوضيح أنه في الأساس لا يمثل قانون عقوبات متشدد، وإنما من منطلق كونه قانوناً شاملاً للسلوك يتضمن أفعالاً تنتمي إلى الحيزين العام والخاص ويتكون من عناصر أساسية في العقيدة والعبادة والتعاليم الإسلامية. وتتناول الشريعة ما يلي :

- العبادات : (قواعد الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج).
- المعاملات : (القواعد المنظمة للمعاملات المالية والوقف والميراث والزواج والطلاق وحضانة الأطفال، والطعام والشراب، والإجراءات الجزائية، والحرب والسلام، والشؤون القضائية...).
- الأخلاق (الآداب) : وتتضمن القواعد الأخلاقية والسلوكية،
- المسائل العقائدية،
- العقوبات : والتي تخص الحدود المفروضة على الانتهاكات الشديدة للقيم.

كما يوجد اهتمام أوروبي أيضاً بمفهوم "الجهاد" والذي تكثر ترجمته في كتب التاريخ المدرسية الأوروبية بعبارة "الحرب المقدسة" بدلاً من معناه اللغوي الذي يشير إلى مقاومة الشر بشكل عام. ونجد أن مفهوم "الجهاد" في التراث الإسلامي يشير أساساً إلى جهاد النفس لكي يضطلع المسلم بدوره في تقدم المجتمع الذي يعيش فيه. ولم يعرف المسلمون معنى الحرب المقدسة إلا مع الحملات الصليبية التي كانوا ضحية لها، ولا يأتي مفهوم الجهاد بمعنى الصراع المسلح إلا في مرتبة ثانية مع ضرورة الإشارة إلى أن الأصل فيه هو أنه "جهاد دفع"، أو جهاد لرد العدوان،



أي الدفاع المشروع. ويعتبر العمل العسكري في الإسلام بمثابة "الجهاد الأصغر"، بينما يمثل "الجهاد الأكبر" ذلك الشق الروحي السلمي الأكثر أهمية والذي لا علاقة له بالعنف أو العمل العسكري.

ويعد وضع المرأة في الإسلام من أهم المواضيع التي تستأثر باهتمام الكُتُب الأوروبية عن الإسلام، إذ غالباً ما يشار إليه من خلال تعدد الزوجات أو من خلال الميراث، ولا يعرف التلاميذ الأوروبيون أن تعدد الزوجات في الإسلام محكوم بشروط طبقاً لآلية القرآنية يصعب أو يكاد يستحيل تحقيقها، وإذا كان للبنات نصف حق أخيها في الميراث، فإن المرأة في حالات أخرى عديدة ترث أكثر مما يرث الرجل.

ومن الموضوعات الأخرى التي تحمل حساسية خاصة هي مسألة التطورات التي طرأت على حقوق الإنسان، فمن التبسيط المخل بالأمور الحديث عن حقوق الإنسان باعتبارها نتاجاً مباشراً للقيم الأوروبية المسيحية، فلا يجب أن ننسى أن إقرار حقوق الإنسان إنما هو من التطورات الحديثة نسبياً في تاريخ الغرب. ويرى كثير من المسلمين وعدد من الباحثين الغربيين أن حقوق الإنسان ليست نتاجاً للحدثاء الأوروبية وإنما تضرب بجذورها في عمق التاريخ الإسلامي. وفي هذا السياق تشير الكتب المدرسية العربية والإسلامية إلى "وثيقة المدينة" التي صاغها النبي محمد عليه السلام بعد تشاوره مع مجتمعي اليهود والمسيحيين المقيمين في المدينة في القرن السابع الميلادي، والذي تم بموجبه ضمان تمتع اليهود والمسيحيين بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المسلمون من سكان المدينة، مع حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية والحفاظ على تقاليدهم وقوانينهم وطقوسهم وإقامة أماكن العبادة الخاصة بهم ومع التزام جيش المسلمين بحمايتهم.

وفي موضوع آخر، يمكن للحساسيات الدينية والثقافية أن تتعرض أحياناً لتجاوزات من بعض مؤلفي الكتب المدرسية في البلدان العربية والإسلامية. فمن الأهمية أن تشير الكتب المدرسية العربية الإسلامية إلى أن المسيحيين الشرقيين

كانوا دوماً يمثلون جزءاً أساسياً من المجتمعات الإسلامية منذ فجر الإسلام. وما زال التلاميذ المسلمون يتعلمون ويتعايشون جنباً إلى جنب مع المسيحيين الشرقيين في معظم مدارس الشرق الأوسط، وبالتالي فهناك حاجة ملحة لقيام مؤلفي كتب التاريخ المدرسية في العالمين العربي والإسلامي بتعزيز احترامهم للتواجد المسيحي في المدارس العربية والإسلامية. فعند تأليف الكتب المدرسية يتعين أخذ الخصوصيات الثقافية للتلاميذ المسيحيين في الاعتبار، والالتفات إلى مساهمات المسيحيين الشرقيين على مدار كافة عصور التاريخ. ويجب تسليط المزيد من الضوء على مظاهر الثقافة المسيحية الشرقية ممثلة في المعمار والأديرة والكنائس، والبطريركيات والمقار البابوية، والمدارس والمستشفيات، والتركيز على دور المسيحيين الشرقيين في النضال ضد الاستعمار الأوروبي.

كما يجب على مؤلفي كتب التاريخ المدرسية في البلاد العربية الإسلامية التوقف أمام الصورة التي يقدمون عليها الثقافة والمفاهيم الأوروبية واليهودية والمسيحية، فيجب عليهم إلى جانب تأكيدهم أن البلدان الأوروبية قد تبنت مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، وأنها أصبحت بالتالي على درجة من العلمانية بحيث يتم تخصيص الحيز الخاص للشؤون الدينية، التأكيد أيضاً على التعددية التي تتسم بها أوروبا، ففي كثير من البلدان الأوروبية ما زالت الكنيسة عاملاً مؤثراً في السياسة والمجتمع ومبادئ الدولة. ففي ألمانيا، على سبيل المثال، تقوم الدولة بجمع الضرائب نيابة عن الكنائس، كما تحصل مؤسسات دينية كثيرة كرياض الأطفال والمدارس والخدمات الاجتماعية على دعم من الدولة. كما أن ملكة بريطانيا ما زالت تحتل رأس الكنيسة الأنجليكانية.

وحين نقوم بتحليل صورة الأوروبيين والمسيحيين واليهود الواردة في الكتب المدرسية العربية والإسلامية، نلاحظ أنه يتم أحياناً تصوير تلك الديانات من منظور القيم والأخلاق الإسلامية. ومن الجدير أن يقوم مؤلفو كتب التاريخ في العالم العربي الإسلامي بتقديم المفاهيم المسيحية واليهودية من



منظور لا يقتصر على وجهة النظر الإسلامية بل من وجهات النظر المسيحية واليهودية. وتوجد نماذج لتلك المقاربة في الفكر الإسلامي الحديث، مثل كتابات عباس محمود العقاد والأمير الحسن بن طلال، وغيرهما من الكتاب المسلمين ممن تقدم كتبهم المنشورة معلومات صحيحة حول العقيدة المسيحية والكنيسة المسيحية والطوائف المسيحية الرئيسية وما يتعلق بالمفاهيم القائمة على كتاب العهد الجديد والتراث المسيحي. ويجب تناول مثل تلك المقاربة الإيجابية أيضاً في كتب التاريخ المدرسية.

وفي سبيل تجنب التناول غير الدقيق لبعض الأمور عند تأليف كتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي، من المفضل إشراك ممثلين عن الديانات الأخرى في عملية إعداد الكتب المدرسية. ففي ألمانيا أصبح من المعتاد أن يقوم ممثلون عن الديانات الأخرى بمراجعة فصول الكتاب المدرسي التي تتناول دياناتهم. وفي سوريا بدأ مشروع جديد يقوم فيه باحثون مسيحيون بكتابة الفصول الخاصة بالعقيدة المسيحية في مادة التربية الإسلامية، بينما يقوم باحثون مسلمون بكتابة الفصول الخاصة بالعقيدة الإسلامية في مادة التربية المسيحية. إن مثل تلك المقاربات تساعد في تجنب حدوث تجاوزات من أي طرف تجاه الآخر، كما تمثل مساراً إيجابياً في عملية إنتاج كتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي.

القسم الثاني:

التعرف على أشكال التلاقي الإيجابي مع الآخر

يسود كتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي أحياناً التركيز على الصراع التاريخي. فنجد أن الكتب المدرسية الأوروبية قد تبالغ في عرض الفتوحات الإسلامية والحملات الصليبية عند تناولها تاريخ العصور الإسلامية الأولى، بينما نجد أن الكتب المدرسية العربية الإسلامية قد تبالغ في عرض التأثير السلبي للإمبريالية الأوروبية. إن المبالغة في التركيز على الصراعات تمثل منظوراً مشوشاً للماضي، ففي بدايات القرن الحادي والعشرين بما يشهده من تشدد في مواقف الكثير من النشء، يمثل هذا التوجه خطورة، إذ إن المبالغة في التركيز على "الآخر" باعتباره غازياً معتدياً إنما يزيد نار الصراع اشتعالاً. فالآن توجد حاجة أكثر من أي وقت مضى للالتفات إلى النماذج العديدة لأشكال التلاقي مع الآخر، ولتلك الفترات التاريخية الطويلة التي كان فيها التعايش بين الشعوب والثقافات والديانات أمراً طبيعياً وواقعاً معيشاً. وفي هذا القسم من الدليل نتوقف أمام أربعة مجالات للدراسة التاريخية والتي يمكنها مساعدة التلاميذ على تنمية فهم أكثر ثراء وعمقاً بشأن العلاقات بين العالم العربي الإسلامي وأوروبا في الماضي، من منطلق الفلسفة والعلوم في العصور الوسطى، والتجارة في العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث، والأندلس، والفن والعمارة.

● الفلسفة والعلوم في العصور الوسطى

إن التطور الفكري الذي شهده العالمان العربي والإسلامي في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين هو من أكثر التطورات أهمية في تاريخ العالم، ويجب تعريف النشء في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي بذلك العصر المهم وبالجوانب



التي جعلت أثره متواصلاً على حياة هذا النشء إلى يومنا هذا. فيجدر بمؤلفي الكتب المدرسية التعامل مع ذلك التطور الفكري بما يتماشى مع الدراسات الحديثة المتخصصة والتي تؤكد على التفاعل الحضاري والتلاقح الثقافي الذي تحقق خلال العصر العباسي. وفي سبيل إدراك الدور الذي لعبه الباحثون العرب والمسلمون في الفلسفة والعلوم، لابد من وضعه في سياق ثقافي واسع يمتد إلى بلاد فارس والهند والصين والقارة الإفريقية.

وعند شرح أثر الثقافة العربية الإسلامية على أوروبا في العصور الوسطى ، يجب على مؤلفي الكتب المدرسية التأكيد على الدور المحوري للإسلام في نشر العلم والمعرفة وتعزيز الفكر واستخدام العقل. كما يتعين عليهم في الوقت ذاته لفت انتباه التلاميذ إلى أهمية العوامل الاقتصادية، كالتجارة عبر مسافات بعيدة، في تطور المعرفة والفهم الإنساني. ويجب على كتب التاريخ المدرسية أن تضع حركة الترجمة في سياقها الزمني المحدد، فقد شهد القرن التاسع الميلادي النهضة الحقيقية لحركة الترجمة، وبخاصة في عهد الخليفة المسلم "المأمون"، حيث نبعت المساهمات العلمية والثقافية العديدة للحضارة الإنسانية من "بيت الحكمة" في بغداد. وذلك في العصر العباسي، وبفضل المترجمين المسيحيين واليهود والمسلمين العرب وغير العرب. وقد تسارعت خطى الترجمة خلال عهد الخليفة المأمون، ثم استمرت في تطورها إبان حكم من تبعه من الخلفاء المسلمين لتمتد حركة الترجمة إلى الأندلس في عهد الخليفة المسلم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر.

● الفلسفة

جاءت الفلسفة الإسلامية نتاجاً للنشاط الفكري المتميز الذي لعب فيه المسلمون من فرس وعرب وأتراك وبربر وغيرهم دوراً فاعلاً. إلا أن مساهمة العرب المسلمين برزت جلياً بما يجعلنا نشير إلى الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة عربية. وقد شهدت بداية القرن التاسع الميلادي نشأة فلسفة عربية إسلامية مميزة، حيث ظهر فلاسفة عظام مثل الكندي "فيلسوف العرب"، والفارابي "السيد الثاني"، وابن سينا "الشيخ الرئيس"، وابن رشد "الحفيد". وعند الكتابة عن الفلسفة العربية، لابد لمؤلفي الكتب المدرسية من توعية التلاميذ بنقطتين أساسيتين على وجه الخصوص، وهما كما يلي :



يعقوب بن إسحق الكندي



الفارابي

● العلاقة بين العلم والدين

فقد اتسمت الفلسفة الإسلامية بملامح معينة منها تحليل موضوع الألوهية من خلال تحليل شامل وكامل يقوم على التجريد والاعتماد على العقل. فمن خلال التأكيد على العقلانية قام الفلاسفة المسلمون باستخدام العقل والمنطق في تأويل النصوص الدينية، فبداية من الكندي وانتهاء بابن رشد عمل المفكرون المسلمون على التوفيق بين المدارس الفلسفية المتنوعة ومحاولة التوصل إلى مقارنة تكاملية بين الفلسفة والدين. فعلى سبيل المثال اعتمد العالم الكيميائي جابر بن حيان في عمله على التجربة والملاحظة، بينما سعى الكندي إلى إثبات وجود الله عن طريق الرياضيات.



ابن رشد



أبو حامد الغزالي



طوما الأكويني

• إن دراسة الفلاسفة العرب المسلمين للفلسفة اليونانية وما أضافوه إليها كان له أثره في تطوير الأسس الفلسفية في أوروبا

فقد قام الفلاسفة الأوروبيون خلال العصور الوسطى بترجمة العديد من النصوص العربية الإسلامية، ومنها "كتاب الشفاء" لابن سينا، و"تهافت التهافت" لابن رشد.

وقد ساهم الفكر العربي الإسلامي في تأكيد المفاهيم العلمية كالفحص الدقيق (التدقيق والاستكشاف)، والاستقراء وصياغة الفرضيات. وهناك العديد من الأمثلة على التأثير الثقافي العربي الإسلامي على أوروبا في مجال الفلسفة، فقد استفاد طوما الأكويني على سبيل المثال من منهج التفكير لدى الأئمة المسلمين والفلاسفة المسلمين مثل الكندي والغزالي. ويوجد مثال آخر على مدى انتشار الفلسفة الإسلامية في مدى شيوع "منهج ابن رشد" القائم على الملاحظة العقلانية، والذي كان يتم تدريسه في الجامعات الفرنسية بأمر من الملك لويس الحادي عشر. أما المثال الثالث فيتضح في الممارسة الفلسفية الخاصة بتشديد المعايير العلمية عند الحكم على صلاحية الإنتاج الفكري قبل قبوله أو رفضه. فتلك الممارسة المنهجية كانت جوهر فلسفة ابن رشد.

● العلم

من المهم بالنسبة للتلاميذ أن يدركوا أن مساهمات الثقافة العربية الإسلامية في المعرفة العلمية لم تقتصر على حركة الترجمة، فلم يكن المفكرون والباحثون العرب المسلمون مجرد مترجمين، بل كانوا منتجين للأفكار، كما كانوا يقومون بالتعليق على النصوص وتطوير الأفكار العلمية من خلال القيم بتجارب عملية لتأكيد أصالة ذلك الفكر. فالإبداع العربي الإسلامي في الفترة ما بين القرن التاسع والحادي عشر الميلاديين، وخاصة في علم الفلك والرياضات والطب، مكن العرب من المساهمة الكبيرة في التقدم العلمي للإنسانية.

وقد لعب العرب دوراً بارزاً في دراسة مختلف أوجه علم الرياضيات، بما في ذلك حساب التفاضل والتكامل والجبر والهندسة وحساب المثلثات، وتحسين نظام الترقيم الهندي والعربي بما في ذلك

إضافة استخدام الصفر. كما وضعوا قواعد علم الجبر، واخترعوا الرموز، وطوروا في المعادلات حتى الدرجة الرابعة ونقلوا النظام العشري إلى أوروبا. ويعتبر الخوارزمي من أكبر المساهمين في تطور الفكر الرياضي الإنساني على مستوى العالم. وتجدر الإشارة إلى أحد الآثار العربية الإسلامية الأخرى التي تركها العرب في أوروبا في مجال الرياضيات وهو تعريف أوروبا بالترقيم العربي. وعموماً، فلعل أهم أربع مساهمات قام بها العرب في تطوير علم الرياضيات هي كالاتي :

- نظام الترقيم،
- تقسيم حساب التفاضل والتكامل إلى أسلوبين، أحدهما نظري والآخر عملي،
- ابتكار الضرب باستخدام شبكة اللوغاريتمات،
- المعادلات من الدرجة الثالثة.



الخوارزمي



ديكارت



جابر بن حيان



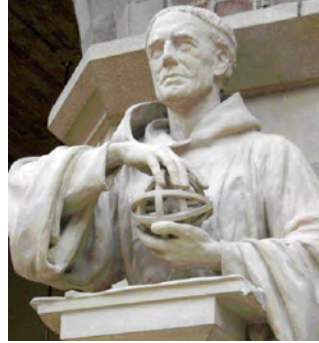
ابن الهيثم

وفي علم الكيمياء قام جابر بن حيان بطرح نظرية الزئبق والكبريت في تكوين المعادن، ثم أضاف الرازي مادة مالحة إليها. ونتيجة لجهودهما العلمية كان التعديل الذي طرأ على نظرية المعادن باعتبارها مكونة من الملح والكبريت والزئبق هي النظرية السائدة في أوروبا حتى نهاية القرن الثامن عشر. وقد لعبت اكتشافات وإنجازات العديد من الكيميائيين العرب دوراً حاسماً في تاريخ العلم والحضارة، وتعتبر المعادن الحمضية والكحول واستخدام البارود من بين أهم تلك الاكتشافات.

وفي علم الفيزياء تميز ابن الهيثم، الذي تناول كتابه "كتاب المناظر" علم البصريات وتمت ترجمته إلى اللغة اللاتينية، فكان له تأثير كبير على كل من روجر بيكون وليوناردو دافينشي ويوهانس كيبلر. وكان العرب أول من أسس لفكرة المجال الجوي للأرض، وقوة الجاذبية الأرضية وقوة الطرد المركزية التي قامت عليها أعمال نيوتن.



جوهانس كيبلر



روجر بيكون



ليوناردو دافنشي

وقد تميز العرب في الطب والصيدلة بدمجهم بين التجارب الطبية اليونانية والهندية والصينية. وكان يتم تحديد الدراسات الطبية العربية بمرحلتين، كانت أولاهما نظرية والثانية عملية تتضمن تدريباً في كيفية التداوي والعلاج.



أبو بكر الرازي

وقد حصل الأوروبيون على معرفتهم بالطب وعلم الصيدلة من العلماء العرب من أمثال الرازي وابن سينا وابن زهر وابن رشد مؤلف "الكليات في الطب". ويرجع أول مستشفى كبير وأول تدريب نظري وعملي للأطباء إلى العصر الذهبي للإسلام، وقد استعانت المدارس والمعاهد الطبية الأوروبية بكتب الطب العربية مترجمة إلى اللاتينية في تعليم الطب وكذلك في تطوير تقنيات طبية جديدة.



ابن سينا

ويجمع مؤلفو كتب التاريخ المدرسية من العرب المسلمين على الثناء على تلك الحقبة التاريخية الماضية. كما نجد أن بعض الكتب المدرسية في أوروبا تؤكد هي الأخرى بشدة على التطورات العلمية والثقافية التي شهدتها القرن العاشر الميلادي في بغداد، وأهمية تلك التطورات بالنسبة للفكر والفهم العلمي الأوروبي. إلا أنه يمكن لكتب التاريخ المدرسية الأوروبية أن تسلط مزيداً من الضوء على صور التلاقي الإيجابي بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي.

● التجارة في العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث

كانت التجارة على الدوام حلقة وصل بين العالم العربي والإسلامي وبين أوروبا، ويخلق التركيز على العلاقات التجارية خلال العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث توازناً في ميزان القوى فيما يتعلق بأشكال الصراع والنزاع الذي شهدته تلك الحقبة التاريخية. فما هي جوانب العلاقات التجارية التي يمكنها إثارة فضول التلاميذ؟ وما هي الأبعاد الخاصة بالتجارة التي يمكن أن تشكل دراسات حالة شيقة في كتب التاريخ المدرسية؟ هنالك عدد من الروايات المعينة التي يمكنها أن تقدم مقترحات في هذا الصدد، وهي :

- **تجارة العصور الوسطى وأهمية منطقة حوض البحر المتوسط:** فبحلول نهاية العصور الوسطى كان لأوروبا موانئ تجارية مهمة في كل من جنوه والبندقية وبيزا وأمالفي ومارسيليا وبرشلونة، كما كانت هنالك موانئ مزدهرة في المشرق والمغرب مثل الإسكندرية وعكا وبيروت وأنطاكية وتونس وطرابلس، وقد كان الميناءان الأخيران مركزين للتجارة العابرة بين أوروبا والشرق، ونقطة النهاية في القوافل التجارية الآتية من أفريقيا وآسيا. ولعل من الموضوعات الجديرة بالدراسة بالنسبة للتلاميذ هي طبيعة التجارة في العصور الوسطى، وأهمية منطقة البحر المتوسط والموانئ المختلفة في تلك الحقبة التاريخية.

- **تغير أنماط النشاط التجاري منذ القرن السادس عشر:** ففي بداية القرن السادس عشر تم كسر احتكار مدينتي جنوه والبندقية لشبكات التبادل التجاري، فقد نجح البرتغاليون في تجاوز شبه الجزيرة العربية ومضيق هرمز ليؤسسوا علاقات مباشرة ببلاد الفرس والهند. كما نجح الإنجليز والهولنديون في السيطرة على جزء من سوق بلاد الشام، بينما استخدم الفرنسيون تحالفهم مع العثمانيين لتقوية أوضاعهم التجارية في كل من منطقتي بلاد الشام والمغرب العربي. ولعل تلك التغيرات التي طرأت على أنماط النشاط التجاري تمثل دراسات حالة شيقة في الكتب المدرسية.

- تأثير التبادل التجاري على الحركة والهجرة: من النتائج المثيرة للاهتمام والتي ترتبت على النشاط التجاري بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي ما يتمثل في نشأة مجتمعات متنوعة في الموانئ والمراكز التجارية. فقد كانت مجموعات من التجار الأوروبيين الآتين من مارسيليا وليفونرو وبيزا وجنوه والبندقية تستقر في موانئ مختلفة من موانئ العالمين العربي والإسلامي مثل الإسكندرية أو عكا أو أنطاكية أو إسطنبول أو تونس. وبالتالي فإن تجارب التجار الذين عاشوا في مجتمعات "الآخر" أو تعاملوا معها عن قرب قد تمثل موضوعاً مثيراً للدراسة وقد تسهم في تغيير العديد من الصور النمطية الرائجة عن هذا الآخر.
- طبيعة الامتيازات التجارية: منح الحكام المسلمون، في لحظات مختلفة من التاريخ، التجار الأوروبيين امتيازات خاصة، فقد قام المماليك ومن بعدهم السلاطين الحفصيون والحكام الفرس والعثمانيون بعقد علاقات دبلوماسية مع بعض الدول الأوروبية كما قاموا بتوقيع معاهدات سلام واتفاقيات تجارية مع مختلف الجمهوريات الإيطالية. وقد تضمنت بعض تلك الاتفاقيات بنوداً تتيح للتجار المسيحيين تدعيم تجارتهم في البلاد العربية الإسلامية. فقد سمح لهم بالإقامة في مبان خاصة هي "الفنادق" والتي كانت توفر لهم أماكن للمبيت وتخزين البضائع. ويمكن أن تكون تجارب التجار الأوروبيين والدوافع وراء تقديم الحكام العرب المسلمين امتيازات تجارية لهم من الموضوعات الجديرة بالدراسة.
- تأثير التجارة على الحياة اليومية في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي: كان للنشاط التجاري في العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث تأثير قوي على حياة الناس في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي، فقد أدى إلى تغيرات مادية مهمة وملموسة على مستوى الحياة اليومية. ويمكن أن يجد التلاميذ في الأشكال الجديدة من العمارة والبناء والملابس والأزياء والطعام والسلوكيات الناجمة عن النشاط التجاري مجالاً مثيراً للاهتمام

والدراسة. كما أدى ذلك أيضاً إلى حدوث تغيرات في المعرفة بما ترك آثاره على تفاصيل الحياة اليومية. فقد كان النشاط التجاري وسيلة فعالة في نقل المعرفة التقنية والفنية والعلمية كالطب والعلوم والرياضيات والفلسفة. فقد عمل التواصل المباشر بين الأوروبيين والعرب المسلمين، على سبيل المثال، على تطوير أنظمة جديدة في الحسابات والشؤون المالية بالإضافة إلى تطور علم الملاحة. ولعل التركيز على السبل التي جعلت للتجارة مع الآخر تأثيراً على حياة الناس سيمكن التلاميذ من فهم جانب مهم من التبادل الثقافي.

● الأندلس : دراسة حالة التعايش الديني والتسامح الثقافي

لعلنا في حاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى أن تلتفت كتب التاريخ المدرسية إلى تلك الفترات الطويلة من التاريخ التي كان فيها التعايش بين المؤمنين بديانات مختلفة هو النمط السائد والأمر العادي. ويمكن اختيار عدة مناطق جغرافية وحقب تاريخية لهذا الغرض، فقد حدثت أشكال من التعايش والتلاقي الإسلامي-الأوروبي المثمر في صقلية في العصور الوسطى، وفي الهند تحت حكم السلاطين المغول المسلمين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وفي البوسنة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. إلا أننا نجد في أندلس العصور الوسطى سياقاً لعله يكون هو الأكثر ثراءً وقدرة على إثارة فضول التلاميذ بشأن التعددية والتنوع والتسامح والتعايش في تاريخ العلاقات الإسلامية الأوروبية.

إن تاريخ الأندلس الطويل، منذ وصول عبد الرحمن الداخل إلى قرطبة في منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى طرد آخر الناصريين في عام 1492 يقدم رواية تاريخية معقدة. إنها حكاية عن الصراع والعداوة وكذلك عن السلم والتسامح. فمنذ بداية القرن الحادي عشر أدى العدوان المسيحي والانقسام بين المسلمين إلى حدوث انشقاق في الأندلس. ولكن الحكام المسلمين في الأندلس

نجحوا في خلق ثقافة مدهشة تعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود في حالة من السلم والازدهار النسبي. وقد أصبحت إسبانيا المسلمة خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين من أكثر أماكن العالم حيوية ونشاطاً، بما شهدته من تداخل بين القوة العسكرية والنشاط التجاري والتعليم والعلم. فقد كانت الأندلس تمثل الموقع الجغرافي واللحظة التاريخية التي تعايش فيها أبناء الديانات الثلاث جنباً إلى جنب، وأوجدوا رغم اختلافاتهم المتواصلة وعداوتهم من آن لآخر- ثقافة غنية ومزدهرة تقوم على تعدد الهويات والتسامح فيما بينها. وقد أسس حكام إسبانيا المسلمون الأوائل حكمهم على تفسير متنوع لمفهوم "أهل الذمة"، فتشارك أبناء الديانات الثلاث المختلفة في الثقافة الرحبة التي رفضت التشدد الديني والسياسي في سبيل التطور الفكري والفني الجمالي.



مسجد قرطبة

والتحدي الأول الذي يواجه مؤلفي الكتب المدرسية عند كتابة تاريخ الأندلس هو تحديد مجال محدد لتركيز تعليم التلاميذ عليه، ويمكن لبعض الأسئلة البحثية أن توجد مساحة لدراسة تاريخ الأندلس، ومنها: لماذا يعجز المؤرخون عن الاتفاق فيما بينهم بشأن الأندلس؟ ما الذي تكشف عنه حكاية جامع قرطبة؟ ما الذي كان يهم الناس على اختلافهم في أندلس القرن العاشر الميلادي؟ ما الذي جعل قرطبة بهذا التميز في القرن العاشر الميلادي؟ كيف كان سكان قرطبة في القرن العاشر يرون عالمهم؟ ما الذي يمكن أن نتعلمه من المباني والعمارة الأندلسية؟ ما الذي وضع نهاية للسلام والتسامح في الأندلس؟ ما هي اللحظة التي شهدت أسرع تغير طراً على قرطبة؟ ما الذي يجب علينا أن نتذكره من قرطبة في القرن العاشر الميلادي؟

وبالنسبة للسؤال القائل "ما الذي تكشف عنه حكاية جامع قرطبة؟" فإنه يتيح تبني منهج للتتبع الزمني في دراسة تاريخ الأندلس ويمكن التلاميذ من فهم أوجه التغير والاستمرارية التي شكلت إسبانيا المسلمة. ويلحظ التلاميذ أن الأندلس تناوبت عليها وأحياناً تعايشت فيها فترات من فرض القيود بل وحتى الاضطهاد مع فترات أخرى من الازدهار في التعاون في التجارة والفنون والعلوم والتلاقح بين الثقافات. ويمكن لتلك الرواية التاريخية أن تغطي المراحل الرئيسية التي شهدتها توسيع وتجميل جامع قرطبة، ثم تنتهي بالقرار الصام في بدايات القرن السادس عشر ببناء كاتدرائية في منتصف الجامع. ويمكن دعوة التلاميذ إلى التوقف أمام ما تكشف عنه حكاية جامع قرطبة فيما يتعلق بالآتي:

- ولع المسلمين بالفن والجمال،
- العلاقة بين المسلمين والمسيحيين واليهود،
- الصلة بين قرطبة والعالم الإسلامي على اتساعه.

ومن أهم الجوانب المتعلقة بدراسة الماضي بالنسبة للنشء تتمثل في تحليل وتقديم صور التعددية والتنوع. وقد يجد الكثيرون من التلاميذ صعوبة فكرية في طرح تصوراتهم المسبقة المرتبطة بالقرن الواحد والعشرين جانباً،

والاندماج مع معتقدات ومواقف مختلفة تماماً عن معتقداتهم ومواقفهم. ولعل من الجدير تحليل المعتقدات والمواقف لدى سكان الأندلس في القرن العاشر الميلادي من خلال تركيز انتباه التلاميذ على التوقف أمام السؤال القائل: "ما الذي كان يهم الناس على اختلافهم في أندلس القرن العاشر الميلادي؟". كما يمكن تقديم رواية الأندلس خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، ودعوة التلاميذ إلى تأمل رأي المجموعات المختلفة من مسلمين ومسيحيين ويهود بشأن كيفية كسب الرزق، والدين، والعلم والفن والجمال، والعدالة والعدل، وماضي الأندلس ومستقبلها.

● الفن والعمارة



قصر الحمراء في غرناطة

قام العالم العربي الإسلامي وأوروبا على مدار قرون من الزمان بإنتاج عدد من أكثر نماذج الفنون والعمارة روعة على مستوى العالم. ومن مباحج الحياة أن نستكشف الإنجازات الفنية والمعمارية التي حققتها ثقافتنا والتلاقي مع فنون ومعمار الآخر. ويجب أن يكون من الأغراض الأساسية للتربية والتعليم زرع حس بالإعجاب تجاه قدرة البشر على الإبداع. ويمكن لمنهج التاريخ المدرسي أن يلعب دوراً مهماً في إثارة الفضول حول المباني والفنون الخاصة بالثقافات المختلفة، ولكن يوجد خطر بسبب سيادة موضوعات عن السياسة والاقتصاد والصراعات في المقررات الدراسية والكتب المدرسية بما يحول دون تعرف النشء من خلال حصص التاريخ على التراث الفني الذي أبدعته ثقافتهم وثقافات الآخرين.



كاتدرائية ريمز

ويمكن أن يساعد مؤلفو الكتب المدرسية ومدرسو التاريخ التلاميذ على تنمية حس جمالي نحو روعة العمارة والفنون، فيمكنهم توفير مساحة من الزمان والمكان يتمتع فيها التلاميذ بجمال "المسجد الأموي" في دمشق أو



كنيسة آيا صوفيا في إسطنبول

المسجد الأقصى وقبة الصخرة في القدس أو كاتدرائية ريمز في فرنسا أو مسجد سلطان أحمد وكنيسة آيا صوفيا في إسطنبول، أو المساجد والمدارس الإسلامية في فاس. كما يمكنهم تشجيع التلاميذ على التفاعل مع العبقريّة الفنيّة لدى بيتير بروغيل الهولندي ومع روعة وجمال فن الخط العربي وفنون الزخرفة الإسلاميّة. إنّ تنمية الحس بالجمال والإعجاب بفن العمارة والفنون التي ميزت تاريخ المجتمعات العربيّة الإسلاميّة والمجتمعات الأوروبيّة هو جزء مهم من عملية تعلم التاريخ. إلا أنّ التاريخ يقدم للتلاميذ ما يفوق ذلك، فمن خلال التركيز على السياق التاريخي الذي تم فيه إبداع الفن والعمارة يمكن للتاريخ أن يساعد التلاميذ على تعلم دروس مهمة بشأن العلاقة بين الفن والمعمار والمجتمع في الزمن الماضي. وعادة ما تتضمن كتب التاريخ المدرسية صوراً فوتوغرافية ورسوماً توضيحية للمباني والفنون لتوضيح مختلف الفترات أو الجوانب التاريخيّة. إلا أنّ جعل الأفكار الخاصّة بالمعتقدات والقوّة السياسيّة والحياة اليوميّة تحتل موقعاً مركزيّاً في عملية التعلم هو أمر يجعل على مؤلّفي الكتب المدرسيّة خلق فهم أعمق لدى التلاميذ عن العلاقة بين الفن والمعمار والمجتمع في الماضي.

وعلى مدار القرون قام الناس في العالمين العربي والإسلامي وأوروبا بإبداع الفن والعمارة بوصفهما تعبيراً مباشراً عن الإيمان. فقد كانت المباني الدينيّة منذ القديم تعبر عن العقيدة، فمنذ القرن السابع الميلادي أثر الإسلام تأثيراً عميقاً في فنون وعمارة الكثير من أرجاء العالم، ويمكن رؤية هذا التعبير الجمالي عن العقيدة في نسخة جميلة من القرآن الكريم، أو في العمارة الداخليّة والخارجيّة لمسجد ما، أو في التصميمات التي نجدها في أي عمل فني ديني. ونجد في الكاتدرائيّات والكنائس والأديرة والفنون الدينيّة الأوروبيّة شاهداً على العلاقة الوطيدة بين المعمار والفن والعقيدة المسيحيّة في العصور الوسطى.

ويمكن لدراسة المباني والفنون في سياقاتها الدينية والاجتماعية أن تساعد التلاميذ على فهم المواقف والعقائد الأساسية لدى الناس في مجتمعات الماضي.



ابن خلدون

وقد أكد المؤرخ العربي المسلم ابن خلدون (1332-1406م) أن المدن وغيرها من الآثار تعكس الأسر الحاكمة التي نشأت في ظلها،

فمن الوظائف المهمة التي قام بها الفن والعمارة في كل من أوروبا والعالمين العربي والإسلامي تعزيز سلطة الحكام والنخبة. ويمكن أن تكون دراسة العلاقة بين السلطة والفن موضوعاً شيقاً بالنسبة للتلاميذ، فيمكن اختيار مدينة ما أو مبنى أو عمل فني ما ليكون مدخلاً لمثل هذه الدراسة، ومنها على سبيل المثال: مدينة بغداد في العصر العباسي، قصر عبد الرحمن الثالث في الأندلس، قصر الحمراء في غرناطة، قصر فرساي، قلعة أو بيت ريفي ما، أو لوحة لحاكم ما. إن الربط بين مبنى أو عمل فني وبين من شيده في كتب التاريخ المدرسية هو وسيلة يقوم من خلالها مؤلفو الكتب المدرسية والمدرسون بالمساعدة في تنمية معرفة التلاميذ وفهمهم للتاريخ.



السلطان محمد الثاني

ومن الأمثلة الجيدة على استخدام لوحة فنية لتناول قضايا أوسع عن السلطة يمكن الإشارة إلى أحد الأعمال الفنية في البلاط العثماني. ففي عام 1479م، وفي أعقاب معاهدة السلام بين الإمبراطورية العثمانية ومدينة البندقية قام حاكم

البندقية بإرسال الفنان الفينيسي جينتيل بيليني للعمل في بلاط السلطان العثماني محمد الثاني. وأثناء عمله في البلاط العثماني رسم بيليني لوحة شخصية للسلطان محمد الثاني، وهي اللوحة المشهورة المعروضة حالياً في

قاعة لندن الوطنية للفنون. إن تلك اللوحة المدهشة تحمل كثيراً من عناصر الإبهار بالنسبة للنشء، ويمكن طرح السؤال التالي على التلاميذ: ما الذي توحى به هذه اللوحة بشأن شخصية وسلطة محمد الثاني؟ وما الذي تكشف عنه بشأن مهارة الفنان بيليني؟ ما هي المؤثرات السياسية والدبلوماسية والمادية والثقافية الكامنة وراء هذه اللوحة؟ لقد قام بيليني بتسجيل موضوع



جيتيل بيليني

لوحته في لحظة زمنية محددة، فنحن نرى جوهر الحاكم المسلم في إطار من عصر النهضة، وقد قام بيليني بدور الجسر الواصل بين أوروبا والعالم العثماني، فقد تعلم شيئاً من الفن الإسلامي خلال وجوده في إسطنبول، بينما قام الفنانون المسلمون باستيعاب التقنيات التصويرية التي تميز بها الإيطاليون.

إن التركيز على فنان واحد في لحظة زمنية معينة هي أسلوب مفيد لمساعدة التلاميذ في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي على فهم التأثيرات الثقافية البالغة التي كانت تمضي في الاتجاهين. ويقدم القرنان الخامس عشر والسادس عشر الميلاديان تحدياً سياقاً ثرياً لدراسة الصلات التي كانت قائمة بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي. وقد شهدت السنوات الأخيرة قيام المؤرخين بإعادة كتابة صيغة القرن التاسع عشر لعصر النهضة الأوروبية بما شهدته أوروبا من ازدهار في الفنون والعمارة بينما ظلت بعيدة عن أية مؤثرات أخرى. إذ يعترف المؤرخون المعاصرون الآن بالأهمية الكبيرة للنشاط التجاري والتبادل الثقافي بين القسطنطينية وبغداد وبكين. ونجد في لوحات فنانين مثل جيوتو وأوتشيللو وفرا أنجيليكو كتابات باللغة العربية (عادة من القرآن الكريم) مرسومة على ملابس القديسين وصور العذراء. إن مثل هذه التفاصيل قد تذكر التلاميذ بأن النهضة الأوروبية كانت نتاجاً للتبادل الذي حدث بين العقائد والثقافات المختلفة.



جامع القرويين في فاس

وأخيراً فإن الدراسات التي تدور حول البيوت والحدائق والمستشفيات والمدارس والوكالات والدكاكين والمصانع وأعمال الفخار والأثاث، وغيرها من المباني والأعمال الفنية، يمكن أن تساعد التلاميذ على فهم بنى الحياة اليومية في الماضي. إن التحليل المفصل لبيوت وأثاث مساكن الفلاحين في قرية من قرى فرنسا خلال العصور الوسطى، ودراسة بيت لأحد تجار دمشق أو فاس، أو عقد مقارنة بين البيئة المعمارية في لندن والقاهرة خلال القرن الخامس عشر



الميلادي، هي موضوعات تحمل في طياتها نوافذ على التنوع والتعددية في تاريخ المجتمعات في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي.

وقد كان التبادل الثقافي بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي يمضي في اتجاه مزدوج على مدار التاريخ، وبالتالي يجب أن يتم تسليط المزيد من الضوء عليه في كتب التاريخ المدرسية. ويمكن لمؤلفي الكتب المدرسية والمدرسين جذب اهتمام التلاميذ بدراسة تأثير العمارة الإسلامية على أوروبا في العصور الوسطى، وتأمل التراث المعماري ذي المؤثرات الثقافية المتعددة في مدينة باليرمو وقرطبة وفاس والقدس والقاهرة. إن وجود قدر أكبر من التركيز على الإنجازات الفنية والمعمارية لسكان أوروبا والعالمين العربي والإسلامي، وعلى التاريخ الطويل من التفاعل الإيجابي بين هاتين الثقافتين، سيقدم تجربة تعليمية غنية لكل التلاميذ.

القسم الثالث:

التعرف على نماذج للتاريخ المحمل بأوجه عاطفية وجدلية، وتقديم بدائل مقترحة

على الرغم من كل أشكال التلاقي الإيجابي بين العالمين العربي والإسلامي وأوروبا في الماضي، إلا أن التاريخ يشير أيضاً إلى أزمنة شهدت مواجهات ونزاعات. ويمكن لحصة التاريخ أن توفر مكاناً "آمناً" للتلاميذ لدراسة تلك الجوانب الجدلية في التاريخ. وتلعب كتب التاريخ المدرسية دوراً محورياً في مساعدة التلاميذ على دراسة الأحداث المثيرة للجدل من وجهات نظر متعددة وبأساليب لا ترسخ الصور النمطية عن الآخر. وأفضل أسلوب لذلك هو عندما يتم تقديم التاريخ من منطلق كونه مضموناً معرفياً وشكلاً معرفياً، فلا يكفي مجرد تعريف التلاميذ بالحقائق المتعلقة بالحدث ذي الجوانب العاطفية والجدلية، إذ يجب تضمين الحقائق المعرفية داخل عملية تعليمية تشتمل على ملامح أخرى مثل دراسة المصادر الأصلية ومختلف الآراء المعاصرة. إن تركيز مؤلفي الكتب المدرسية على عملية البحث التاريخي ذاتها يمكن أن يساعد التلاميذ على فهم التعقيد القائم في الأحداث التاريخية المثيرة للجدل وتجاوز موقف يرى أحداث الماضي من منظور أحادي: إما أبيض أو أسود.

إن تناول الروايات التاريخية المتعددة والطرق التي يمكن بها النظر إلى الأحداث التاريخية من وجهات نظر مختلفة هي ملمح آخر من ملامح الممارسة الصحيحة لدراسة التاريخ. فمن المهم للغاية التركيز على الطرق التي قام بها البشر في العصور اللاحقة بإعادة بناء وإعادة تناول وعرض الأحداث التاريخية المثيرة للجدل، والتركيز على الغرض من وراء تلك التفسيرات والتأويلات التاريخية المختلفة، وكذلك العلاقة بين التأويلات والأدلة المتاحة



في العصر الحالي. ومما يهدد سلامة تدريس جوانب التاريخ العاطفية والجدلية عدم إدراك التلاميذ أن التاريخ بطبيعته موضوع يتيح الجدل والمناقشة.

ويركز هذا القسم من الكتاب على خمسة جوانب عاطفية وجدلية في دراسة التاريخ فيما يتعلق بالعلاقة بين أوروبا والعالم العربي الإسلامي، وهي: انتشار الإسلام، الحملات الصليبية، أوروبا والإمبراطورية العثمانية، الاستعمار الأوروبي، وعلاقة أوروبا بالصراع العربي-الإسرائيلي. ويتم التوقف هنا عند قضايا تاريخية وتربوية محددة فيما يتصل بتلك الأحداث التاريخية، كما ترد مقترحات ببعض الأساليب المفيدة في التعامل معها.

● الفتوحات الإسلامية

وصلت الفتوحات الإسلامية خلال القرن الأول بعد وفاة النبي محمد عليه السلام إلى الإمبراطورية الساسانية، وهي الأراضي التي تضم كلا من العراق وإيران في يومنا هذا. وسارت الجيوش الإسلامية شمالاً وغرباً متوغلة في الإمبراطورية البيزنطية فاتحة لبلاد الشام ومصر. وبحلول سنة 705م كانت الفتوحات الإسلامية قد وصلت إلى ما يعرف اليوم بأفغانستان، وبحلول 711م كانت قد بلغت شمال الهند وآسيا الوسطى. كذلك امتدت الفتوحات الإسلامية غرباً، فبحلول عام 700م كان المسلمون قد فرضوا سيطرتهم على كل الساحل الشمالي لإفريقيا. وفي عام 711م قامت الجيوش الإسلامية بفتح إسبانيا، ولم تتوقف فتوحاتهم إلا بوصولهم إلى فرنسا في معركة بواتييه عام 732م. وهكذا كانت الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام في القرنين السابع والثامن الميلاديين من أهم التطورات التي شهدها تاريخ العالم.

وتعتبر الفتوحات الإسلامية موضوعاً يرد بانتظام في الكتب المدرسية الأوروبية. وفي دراسة مقارنة تمت في عام 1995 حول صورة الآخر في كتب التاريخ المدرسية في سبعة بلدان من منطقة البحر المتوسط (فرنسا وإسبانيا

واليونان ومصر والأردن ولبنان وتونس). اتضح أن التعريف بالإسلام في الكتب المدرسية الأوروبية يبدأ عادة بسرد "التوسعات الإسلامية". وبعد مرور عشرة أعوام أشارت دراسة أخرى إلى استمرار نفس التركيز على "التوسعات الإسلامية". ووردت الفتوحات الإسلامية في كثير من الكتب المدرسية الأوروبية باعتبارها مجرد غزو عسكري. فبدلاً من البدء بشرح المفاهيم الإسلامية ومبادئ الإسلام ودور التجار المسلمين في انتشار الإسلام دون معارك أو حروب، كانت بعض الكتب المدرسية الأوروبية تقدم صورة للجيش الإسلامي وهي تنتصر على الشعوب بالقوة، و"تمارس ضدها أشكالاً من الإذلال مع نهب ثرواتها وأموالها". وكنا نجد بعض الكتب المدرسية تقدم صورة نمطية للفتاحين المسلمين باعتبارهم غزاة ومغيرين يحملون الرعب ويمثلون لجيرانهم مصدر تهديد دائم وبالغ .

وفي السنوات الأخيرة أخذ مؤلفو كتب التاريخ المدرسية الأوروبية يشجعون التلاميذ على تنمية وعي أكثر عمقاً في فهمهم لانتشار الإسلام. إن طرح السؤال بشأن الأسباب التي أدت إلى انتشار الإسلام يمثل طرحاً سببياً مثيراً لاهتمام التلاميذ، ويمكن من خلاله تعريف التلاميذ بمجال واسع من أنواع تلك الأسباب: العسكرية والاقتصادية والدينية والاجتماعية. إنها في كل الأحوال مسألة تقع في صميم دراسة التاريخ، فقد اختلف المؤرخون حول الأهمية النسبية لتلك العوامل كافة، كما اختلفوا بشأن التداخل فيما بينها وحول الأسلوب الأمثل لتفسير نجاح الإسلام. ويمكن تشجيع التلاميذ على صياغة براهينهم السببية الخاصة بهم. ويمكن لمؤلفي الكتب المدرسية تعزيز المنطق السببي لدى تلاميذهم، فيما يتعلق بانتشار الإسلام، بعدة أساليب. فعلى سبيل المثال يمكنهم تقديم مجموعة كبيرة من "الأفكار السببية" التي يمكن للتلاميذ العمل على ترتيبها بصيغ مختلفة للخروج بتفسير سببي مقنع. ويمكن لما يلي من "الأفكار السببية" أن تساعد التلاميذ على التوصل إلى برهان وصياغة حجة سببية مقنعة بشأن انتشار الإسلام :

- لم يعد لدى الإمبراطوريتين العظميين (البيزنطية والساسانية) القوة لمحاربة المسلمين بعدما أنهكهما القتال فيما بينهما.
- إن قوة إيمان المسلمين جعلتهم يستبسلون على أرض المعركة، وإن الدين الإسلامي يمنع القتال من أجل الاعتداء ويبيح القتال للدفاع فقط، ولذا يجب التمييز بين بعض الأحداث التاريخية ومبادئ الدين الإسلامي وأحكامه.
- كان الكثير من الشعوب كارهين لحكامهم القدامى، فاعتبروا المسلمين محررين لهم.
- كانت الضريبة التي يدفعها المسيحيون واليهود للحكام المسلمين الجدد أقل من تلك التي يدفعونها لحكامهم البيزنطيين القدامى.
- كان الحكام المسلمون في الغالب الأعم أكثر تسامحاً من المسيحيين البيزنطيين تجاه المسيحيين واليهود.
- كانت الفرصة متاحة لبعض القبائل العربية كي تغتني في حالة مشاركتها في الحروب الإسلامية.
- كان العرب جنوداً مهرة يتمتعون بالبأس وسرعة التحرك والقدرة على المباغطة.
- كان لدى الجيوش الإسلامية أسلحة مدهشة كالمجانيق .
- قام العرب ببناء قوة بحرية.
- لم يجبر العرب اليهود والمسيحيين على اعتناق الإسلام .
- ساهم التجار المسلمون في انتشار الإسلام حيث وصل الإسلام عن طريقهم إلى مجموعة من المناطق والبلدان.
- كان الإسلام قد وحد العرب، مما زاد من قوتهم. فكانت الجيوش العربية بالقوة الكافية التي تجعلها قادرة على القضاء على الثورات وحركات التمرد في المناطق التي فرضت عليها سيطرتها.
- انضم البربر في شمال إفريقيا إلى الجيوش الإسلامية مما زاد من قوتها.
- ساهم المدرسون المسلمون في دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام، وخاصة في إفريقيا وآسيا.

إن تعريف التلاميذ بنطاق متسع من العوامل السببية ودعوتهم لصياغة تفسيراتهم السببية هما استراتيجيتان صالحتان لمساعدة التلاميذ على تجاوز التفسيرات السطحية المبسطة التي لا تقدم الآخر إلا في صورة المعتدي.

● الحملات الصليبية

إن الحروب الصليبية التي وقعت في الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين شكلت نقطة تحول رئيسة في العلاقات بين أوروبا والعالم العربي الإسلامي. ففي العالم العربي الإسلامي أصبحت الحملات الصليبية من أكثر الفصول إثارة للجدل في تاريخ العلاقات مع أوروبا. إن تقديم الحملات الصليبية بشكل سطحي ومبسط في كتب التاريخ المدرسية في كل من أوروبا والعالم العربي الإسلامي يمكن أن يؤدي إلى اكتساب التلاميذ فهماً محدوداً فيما يتعلق بالحملات الصليبية.

وما زالت الكتب المدرسية الأوروبية تقدم أحياناً الحملات الصليبية من منظور أوروبي. فطبقاً لما يرد في بعض الكتب المدرسية الأوروبية فإن الهدف الأساسي للحروب الصليبية كان تحرير الأماكن المقدسة في مدينة القدس من أيدي "الكفار"، وكان هؤلاء "الكفار" هم المسلمون الذين ادعى الصليبيون أنهم قد احتلوا المدينة المقدسة وأساءوا معاملة المسيحيين الشرقيين والحجاج الأوروبيين في زيارتهم للمواقع المسيحية المقدسة في مدينة القدس. بينما تقوم بعض الكتب المدرسية العربية الإسلامية على تصوير الصليبيين باعتبارهم أناساً غير متحضرين يسودهم العنف والجشع، فيركزون على أن الصليبيين لم يأخذوا في الاعتبار حرمة الأماكن المقدسة أو المدنيين. كما نجد أن بعض مؤلفي الكتب المدرسية العربية الإسلامية يلجأون إلى الاستخدام المبالغ فيه للبلادة والأسلوب الأدبي لتأكيد عظمة الانتصارات الإسلامية ضد الصليبيين.

لم يمر علينا في التاريخ زمان يتعين فيه دراسة الحملات الصليبية بأهمية زماننا الذي نعيشه الآن. حيث زاد الميل إلى إضفاء صبغة دينية على بعض



الصراعات الدائرة بينما الحقيقة أن الصراع قائم بين من يجهلون تعاليم الأديان السماوية أو من يستخدمونها لتبرير سياساتهم وتحقيق أهدافهم. وبالفعل نجد أن معدلات العنف المبرر دينياً تشهد صعوداً على مستوى العالم، ويجد التلاميذ أنفسهم معرضين يومياً لكم هائل من الصور الإعلامية والحكايات الدائرة عن أحداث القتل التي تتم باسم الدين مع أن الدين منها براء. كما أن العديد من المشاركين في الصراع الديني يستخدمون لغة "الحرب المقدسة" و"الحرب الصليبية" لتقديم تبرير أخلاقي لاستخدام العنف، بل وكثيراً ما يربطون مباشرة بين الحملات الصليبية والصراعات الحالية، وهي رابطة تعتمد بالطبع على التصورات الذهنية لا على الحقائق التاريخية. إن فهم تاريخ الحملات الصليبية وردود الأفعال العاطفية الناجمة عن المعرفة الجزئية والمتحيزة لتلك الصراعات الدينية تجعل من الحملات الصليبية مجالاً غنياً وجديراً بالدراسة.

وقد أصبحت الحملات الصليبية في السنوات الأخيرة موضوعاً ينال قدراً معتبراً من الاهتمام الأكاديمي المتخصص، ويجب أن يكون مؤلفو الكتب المدرسية على علم بالمقاربات المنهجية والمناقشات والجدل التاريخي الدائر والناجم عن الجهود البحثية الجديدة. ونجد أن هنالك ثلاثة جوانب تسود الأعمال البحثية الحالية حول التأريخ للحروب الصليبية، وتتناول الآتي: المناقشات حول ما كانت عليه الحملات الصليبية فعلياً، وتحليل وتقديم الحجج والبراهين على دوافع الصليبيين، ووجهات النظر المتغيرة بشأن طبيعة المجتمع الصليبي.

1. ما الذي كانت عليه الحملات الصليبية؟

لقد أدت مشكلة تعريف الحملات الصليبية إلى قيام قدر من الجدل بين المؤرخين، ويمكن تحديد ست مقاربات منهجية مختلفة في هذا الصدد.

أولاً: المؤرخون المعتمون، وهم الذين يضعون الحملة الصليبية الأولى في السياق الممتد للحرب المسيحية المقدسة، ويرون بالتالي عدم وجود ما يميز الحملة الصليبية الأولى عما سبقها.

ثانياً: المؤرخون التقليديون، الذين يؤكدون على الأهمية المحورية لمدينة القدس والأرض المقدسة بالنسبة للحملة الصليبية.

ثالثاً: المؤرخون الجمعويون، وهم الذين يركزون على السلطة البابوية باعتبارها الخاصية المميزة للحملة الصليبية، ولذا يوسعون دائرة البحث جغرافياً (لتشمل شبه الجزيرة الإيبيرية، ومنطقة البلطيق وغيرها من أرجاء أوروبا) وزمانياً (لتمتد إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر).

رابعاً: المؤرخون الشعبويون، وهم يرون أن الحملات الصليبية نشأت تعبيراً عن التدين الشعبي، وهي مقاربة منهجية لدى المؤرخين من جيل سابق، ولكنها قد تشهد إعادة إحياء مع التوصل إلى المزيد من المعرفة حول الدوافع التي كانت لدى المشاركين في الحملات الصليبية من ذوي الخلفيات غير العسكرية.

خامساً: المؤرخون الإخباريون، وهم الذين يؤكدون أن الحركة الصليبية كانت جزءاً من التوسع الأوروبي المفعم بالتدين العدواني، ونتاجاً للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفت أوروبا بعد انهيار سلطة الإمبراطورية الرومانية فيها، وإفرازاً للتفاعل بين الكنيسة والإقطاع في أوروبا، حيث عمدت قوى الإقطاع والبورجوازية الناشئة والرهبان وفئة الفرسان وطبقة الفلاحين إلى اعتناق الأيديولوجية الصليبية كل حسب التفسير الخاص به الذي يخدم مصالحه الطبقية ويخلصه من مشاكله الداخلية ويحقق له المكاسب الدنيوية التي لم يكن لأوروبا القرن الحادي عشر بظروفها الاقتصادية المزرية وأحوالها المعيشية المتردية أن تحققها.



سادسا : المؤرخون الماركسيون، وهم الذين يرون أن الحملات الصليبية كانت مشاريع استعمارية استيطانية تهدف إلى استعباد الشعوب تحت راية الصليب، مدللين على ذلك بمعاونة بلاد البلقان من وحشية الصليبيين خلال الحملة الشعبية والحملة الصليبية الأولى، فضلاً عن كون الإمبراطورية البيزنطية ذهبت ضحية الحملة الصليبية الرابعة في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي.

2. دوافع الصليبيين:

إن دراسة الأسباب التي دفعت الناس إلى حمل الصليب وتوقعاتهم بشأن النتائج المترتبة على فعلهم هذا تحتل مساحة غنية من البحث التاريخي، وأثارت جدلاً متواصلاً بين المؤرخين. وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن عدداً قليلاً جداً من المشاركين في الحملة الصليبية الأولى استقروا في الأراضي التي استولوا عليها، وأن إغراءات الحصول على أراض جديدة في الشرق لم تكن بالدافع القوي لبقائهم. فيما تشير دراسات أخرى إلى أن الحرب الصليبية كانت بدافع اقتصادي وسياسي تحت راية الصليب، وتعتبرها أولى المشاريع الاستعمارية الأوروبية.

3. طبيعة المجتمع الصليبي:

يركز عدد من الباحثين المعاصرين في التاريخ على طبيعة المجتمع الذي نشأ في الدول الصليبية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وعلى مدى الاندماج بين شعوب تلك الدول. وتمثل هذه المقاربة المنهجية مجالا يثير اهتمام التلاميذ إذ تعرفهم كيف يمكن لعلم الآثار والجغرافيا التاريخية والفنون أن تساهم في تكوين فهم تاريخي. وقد طرح المؤرخون الفرنسيون في القرن التاسع عشر فكرة مفادها أن "المجتمع السوري-الفرنسي" ظهر في الدول الصليبية عند اندماج المستوطنين الغربيين داخل المجتمع المحلي مما أدى إلى إنتاج ثقافة فريدة. وقد هاجم المؤرخان جوشوا

براور وأوتتو سميل هذا الرأي في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين من منطلق أنه لابد من النظر إلى المستوطنين الغربيين باعتبارهم ينتمون إلى طبقة حاكمة منفصلة عن السكان المحليين بفعل اللغة والدين، وبلجوتهم إلى القوة لفرض وجودهم. وفي السنوات الأخيرة تشير دراسات روني إينبلوم إلى صورة أكثر تركيباً من خلال تتبعه لأنماط الاستقرار في الريف وكذلك من خلال تناوله بالدراسة مؤخراً القلاع الصليبية. كذلك نجد أن ياروسلاف فولدا يطرح في أبحاثه عن الفن الصليبي فكرة وجود تآلف وتداخل ثقافي.

ومن المهم أن يعتمد مؤلفو الكتب المدرسية على الجهود البحثية الحديثة، وأن يسعوا إلى إشراك التلاميذ في المناقشات الأكاديمية حول الحملات الصليبية. ومن المهم تحديداً أن يتجاوز التلاميذ الرؤية الأحادية للحملات الصليبية وأن يستكشفوا فيها التصورات عن الآخر. ومن الدراسات القيمة على سبيل المثال في هذا الصدد، والتي يمكن أن يستعين بها مؤلفو الكتب المدرسية الأوروبيين، كتاب أمين معلوف عن "الحملات الصليبية كما رآها العرب"، وكذلك كتاب كارول هيلينبراند عن "الحملات الصليبية: وجهات نظر إسلامية" الذي يقدم مسحاً مفصلاً وتحليلاً للتصورات الإسلامية فيوفر كماً كبيراً من المصادر المفيدة بما في ذلك إشارات إلى الأدب الشعبي والمباني والصور والمذكرات العربية والتي تساعد كلها التلاميذ على معرفة التصورات التي كانت لدى المسلمين عن الفرنجة في زمن الحملات الصليبية. إن مثل هذه المصادر تقدم نماذج لنوعية التلاقي الثقافي الذي يتعين على النشء التعرف عليها وفهمها، إذ تتيح للتلاميذ فرصة استكشاف المواقف والقيم والافتراضات وأنشطة الحياة اليومية عند المسيحيين (المحليين منهم والأوروبيين) والمسلمين واليهود عندما كانوا يعيشون جنباً إلى جنب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.



كما يمكن لمؤلفي الكتب المدرسية أيضاً أن يشركوا التلاميذ بشكل مفيد في تتبع الكيفية التي تم بها تأويل الحملات الصليبية بأشكال مختلفة، سواء في أوروبا أو العالم العربي الإسلامي. فالتركيز على كيفية تصوير الحملات الصليبية في اللوحات والمسرحيات والأفلام والترميمات والمعارض المتحفية والأعمال الروائية وغير الروائية تساعد كلها التلاميذ على اكتساب مهارات التساؤل والنقد، إذ يرون أن التأويلات المختلفة تعكس الظروف التي أوجدتها ويدركون نوايا أصحاب تلك التأويلات.

● أوروبا والإمبراطورية العثمانية

يمثل عام 1453م لحظة فارقة في تاريخ العالم. فقد أدى فتح العثمانيين القسطنطينية إلى قيام إمبراطورية كبيرة استمرت طويلاً. فقد تم خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ضم كل البلاد العربية، باستثناء أجزاء من شبه الجزيرة العربية، والسودان والمغرب، وإحداها بالإمبراطورية العثمانية. وقد شهدت بدايات العصر الحديث تسخير كثير من موارد وطاقة الإمبراطورية العثمانية لمد نفوذها داخل وسط أوروبا وشرقها. وقد يكون عام 1453م غير معروف لكثير من التلاميذ في أوروبا، ولكنه تاريخ يحتل مساحة كبيرة في الذاكرة الجماعية لدى الأوروبيين والعثمانيين. إن المعارك مثل معركة موهاتش (المعروفة أيضاً باسم معركة موهاج، عام 1526م) وحصار فيينا (1529م) ثم معركة فيينا (1683م) ومعركة ليبانتو (1571م) تمثل علامات مهمة في العلاقة بين أوروبا والإمبراطورية العثمانية. ولعل أكثر مواقع هذه العلاقة حساسية تقع في منطقة البلقان حيث ما زالت أصداء الصراعات العسكرية في القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادي لها تبعاتها الخطيرة حتى يومنا هذا. ولا يجب أن يتجاهل مؤلفو الكتب المدرسية والمدرسون صراعات الماضي بين أوروبا والإمبراطورية العثمانية، وإنما تتطلب هذه الموضوعات تناولها بحرص إذا رغبت في تجنب تكريس رأي نمطي عن الآخر يصوره كعدو وكتهديد مستمر.

فإذا كان لمؤلفي الكتب المدرسية أن يساعدوا التلاميذ على تنمية فهم أكثر دقة أكاديمية وأكثر تنوعاً وثراء بشأن العلاقة بين أوروبا والإمبراطورية العثمانية، فمن المهم ألا يكون التركيز على الصراع هو السائد في الكتب المدرسية. فلم تقتصر الصلات بين الدول الأوروبية والإمبراطورية العثمانية على العداوة المطلقة، ويمكن توجيه التلاميذ نحو فهم أكثر عمقاً للماضي بدراسة أنواع أخرى من الصلات بين أوروبا والعثمانيين. فقد كان التبادل الفني من الأبعاد المهمة في العلاقات بين الدول الأوروبية والإمبراطورية العثمانية، وهو ما ينطبق أيضاً على التبادل التجاري بينهما. وكان النشاط التجاري خلال القرون الأولى من عصر الإمبراطورية العثمانية خاضعاً لسيطرة تجار مدينتي البندقية وجنوه، ثم خضع في القرن الثامن عشر الميلادي للتجار الفرنسيين والبريطانيين. وقد سعت الدول الأوروبية منذ القرن السادس عشر الميلادي وما بعده إلى تقوية وترسيخ تلك العلاقات التجارية مع الإمبراطورية العثمانية من خلال إقامة سفارات وقنصليات أوروبية دائمة في مدينة إسطنبول. كما دخل الملوك الأوروبيون في تحالفات عديدة مع السلطان العثماني ضد أعداء مشتركين.

ومن التطورات المهمة التي شهدتها البحث التاريخي الأوروبي ما يتمثل في دراسة روايات الأوروبيين "العاديين" ممن زاروا الإمبراطورية العثمانية في بدايات العصر الحديث، وقد أخذت بعض تلك الدراسات مؤخراً في التأثير على الكتب المدرسية. فنجد أن أحد الكتب المدرسية الإنجليزية على سبيل المثال يركز على سرد رواية توماس دالم، مخترع آلة الأرغن باستخدام تقنية صناعات الساعات الدقيقة، والذي سافر في عام 1599م من إنجلترا إلى إسطنبول. حيث رأت الملكة إليزابيث الأولى في آلة الأرغن الدقيقة هدية ممتازة ترسلها للسلطان العثماني محمد الثالث، فأمرت توماس دالم بتوصيل الأرغن إلى السلطان على أمل أن تقنعه الهدية بمد الامتيازات التجارية لتشمل شركة بلاد الشام الإنجليزية. ويطلب مؤلفو هذا الكتاب المدرسي من التلاميذ قراءة حكاية



رحلة توماس دالم والتفكير فيما تشير إليه بشأن مواقف الرجل من العالم الإسلامي وحول علاقة إنجلترا بالإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت. وهو مثال جيد على مدى قدرة مؤلفي الكتب المدرسية على مساعدة التلاميذ لتجاوز الصورة النمطية لمجتمعات الماضي من خلال التركيز على جوانب التعقيد في علاقات التلاقي الفردية بين الأوروبيين والمسلمين.



السلطان سليمان

ومن الاستراتيجيات الأخرى التي يمكن لمؤلفي الكتب المدرسية الأوروبية استخدامها لتجاوز تصور التلاميذ الأوروبيين للعثمانيين باعتبارهم "العدو" هي استراتيجية تقوم على التركيز على طبيعة الإمبراطورية العثمانية ذاتها. إن العمل على صياغة الكتب المدرسية الأوروبية بحيث تتضمن زيادة في الاهتمام بعدد من السلاطين العثمانيين كل على حدة، والالتفات إلى مدينة إسطنبول والباب العالي والحكومة العثمانية والتراث العثماني الإسلامي والفن والمعمار العثماني ومواقف العثمانيين تجاه المسيحيين واليهود، هي عناصر ستساعد التلاميذ على تنمية فهم أعمق بشأن الإمبراطورية العثمانية. وفي سبيل تطوير القدرات الفكرية لدى التلاميذ من المفيد التركيز على تضمين الكتاب المدرسي فصلاً يدور حول سؤال بحثي، فيجب على المؤلفين الاستعانة بأسئلة تاريخية دقيقة تعمل أيضاً على كسب انتباه وإثارة فضول التلاميذ. ويمكن للأسئلة التالية أن تتيح فرصاً تعليمية جيدة حول طبيعة الإمبراطورية العثمانية، وهي كالاتي: ما هو جانب "الروعة" في السلطان سليمان؟ ما هي الأمور التي كانت مهمة بالنسبة للسلاطين العثمانيين؟ كيف كان السلاطين العثمانيون يعبرون عما لديهم من قوة؟ ما الذي جعل الباب العالي يتمتع بكل تلك الخصوصية؟ ما الذي يمكن للمصادر المختلفة أن تخبرنا به عن العثمانيين؟ لماذا يجب أن يظل العثمانيون في الذاكرة؟ ما هي أوجه الاختلاف التي كانت

قائمة بين باريس وإسطنبول في القرن السادس عشر الميلادي؟ متى بلغت الإمبراطورية العثمانية أقصى قوتها؟ ما الذي أدى إلى اضمحلال الإمبراطورية العثمانية؟ لماذا يعجز المؤرخون عن الاتفاق حول العثمانيين؟

ومن الجوانب التي تتسم بحساسية خاصة في تاريخ العلاقات الأوروبية العثمانية دور الدول الأوروبية في انهيار الإمبراطورية العثمانية وفرض "الحماية الأوروبية" مما أحدث تغييراً في ميزان القوى في المنطقة. ومن المهم جداً الإشارة إلى أن المظالم المنسوبة للدولة العثمانية لم تكن موجهة للأوروبيين فقط، وإنما امتدت إلى عرب المشرق أيضاً، ولم يكن لها سند من الدين الإسلامي، بدليل أن قسماً من عرب المشرق كان قد تحالف مع الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. كما أنه من المهم أن ينمى لدى النشء في كل من أوروبا والعالمين العربي والإسلامي فهماً واضحاً للأهمية المتمثلة في أفول الإمبراطورية العثمانية، ومدى الارتباط بين نهاية تلك الإمبراطورية وحياتهم اليوم، والأسباب التي قد تجعل الناس يفسرون ويأولون تلك الأحداث بأشكال مختلفة. ويتعين على مؤلفي الكتب المدرسية التوقف للتفكير ملياً في الحقائق التاريخية التي يختارونها لتضمينها في كتب التاريخ المدرسية، كما توجد حاجة للتفكير في المحور المناسب الذي تدور حوله عملية التعلم.

عند الكتابة عن نهاية الإمبراطورية العثمانية يدخل مؤلفو كتب التاريخ المدرسية مساحة تأويلية ملغمة، إذ ينظر الناس على اختلافهم، ولأسباب متباينة فيما بينهم، إلى أحداث الفترة 1917-1921م من وجهات نظر مختلفة. فعلى سبيل المثال تختلف روايات المؤرخين حول مدى الدور الذي لعبه العرب ومشاركتهم في الأحداث التي شهدتها تلك الفترة. ولعل التأويلات التي تقدمها بعض وسائل الإعلام تؤكد على خيانة القوى الغربية للإمبراطورية دون تتبع السياق التاريخي الذي عمل في إطاره السياسيون، فنجد أن فيلماً مثل الفيلم الكلاسيكي "لورنس العرب" لمخرجه ديفيد لين (1962م) ساهم في خلق تصور أسطوري لتلك الأحداث في المخيلة الشعبية.



ومن المقاربات المنهجية التربوية المفيدة جعل تأويل ما موضوعاً يدرسه التلاميذ، ويتوفر لمؤلفي الكتب المدرسية عدد من التأويلات التي يمكنهم الاختيار من بينها، وتتضمن الآتي: التأويلات الأكاديمية (مثل الاستعانة بمقتطفات من كتب ومقالات المؤرخين الأكاديميين)، والتأويلات الروائية (مقتطفات من الأعمال الروائية والمسرحية)، والتأويلات التربوية والتعليمية (مثل الكتب المدرسية والمتاحف ومواقع الأحداث التاريخية والمواد التلفزيونية التسجيلية)، والتأويلات الشعبية (مثل التصورات الشعبية، والآثار، ووسائل الإعلام). ويمكن دعوة التلاميذ إلى تأمل النقاط التالية: الغرض من التأويل والجمهور المقصود منه، والعلاقة بين التأويل والأدلة والبراهين المتاحة، والطريقة التي تأثر بها التأويل بصاحبه (من حيث ميله الأيديولوجي وقيمه جنسيته وشخصيته). فالتركيز الصريح في الكتب المدرسية على الطرق التي تم بها تأويل أحداث من الماضي هو أمر يمكن أن يفتح أذهان التلاميذ أمام مختلف وجهات النظر، ويمكن أن يتيح داخل الفصل المدرسي استراتيجية مناسبة للتعامل مع جوانب التاريخ المحملة بعناصر عاطفية أو مثيرة للجدل.

● الاستعمار الأوروبي

شهد القرن التاسع عشر الميلادي قيام القوى الأوروبية بالسيطرة على العالم، كما أدى التنامي في إنتاج المصانع والتغيرات التي طرأت على وسائل الاتصال إلى حدوث توسع في التجارة الأوروبية. وقد صاحب تلك التطورات زيادة في القوة العسكرية للدول الأوروبية وإلى قيام القوى العسكرية الأوروبية بالاستيلاء على بعض أجزاء العالمين العربي والإسلامي. وقد تمثل أول انتصار أوروبي كبير على دولة عربية إسلامية في غزو فرنسا للجزائر (1847-1830م). ثم أعقب ذلك وقوع كل من مصر وتونس في أيدي السلطة الأوروبية، ومن بعدهما المغرب وليبيا وغيرهما من البلدان العربية التي خضعت للاحتلال الأوروبي. ويقترب العصر الاستعماري تاريخياً من عصرنا الحالي، ولذا يعتبر فترة عصيبة بالنسبة لكثير من البلدان في كل من العالمين العربي والإسلامي وأوروبا. ونجد أن تدريس عصر الاستعمار

يطرح إشكاليات منهجية معينة، فما هي المقاربات المنهجية الأصلى فى الاستجابة لمتطلبات البحث التاريخى ولاحتياجات النشء التربوية والتعليمية؟

يرد عصر الاستعمار الأوروبى فى بعض الكتب المدرسية فى العالم العربى والإسلامى باعتباره عملاً عدوانياً صرفاً من المستعمرىن تجاه السكان وتشير بعض الكتب المدرسية إلى أن الحركة الاستعمارية فى القرن التاسع عشر هى بمثابة عودة للحملات الصليبية. كما يتم اتهام المسيحية أحياناً بأنها هى منبع ذلك التوسع غير المشروع فى القرن التاسع عشر الميلادى وذلك بغرض ضعفة العالم العربى الإسلامى وزعزة تماسكه الثقافى والأخلاقى. وفى هذا الصدد يتم الربط بين الإمبريالية وبين أنشطة المبشرين الدينىين ممن استهدفوا تحويل الشعوب الخاضعة للاستعمار إلى العقيدة المسيحية. كما تسلط بعض الكتب المدرسية الضوء أيضاً على جوانب العنف المتصلة بالتوسع الاستعمارى الأوروبى وتقديم المستعمرىن باعتبارهم غزاة يتصفون بالهمجية والوحشية. وبينما لاينبغى تبرير الاستعمار وممارساته، فإنه ينبغى إدانته كما ينبغى الفصل بينه وبين ما ينسب إليه من دوافع دينية.

ولفترة طويلة كانت الكتب المدرسية الأوروبية تميل إلى تأكيد فكرة "المهمة الحضارية" التى كانت هى الدافع المحرك للحركة الاستعمارية. فطبقاً لما ورد فى بعض الكتب المدرسية، لم يكن للاستعمار الأوروبى أية أغراض سوى الأهداف "الحضارية"، أى تقديم العلم والتعليم، وتوفير الرعاية الصحية، وبناء الطرق والموانئ. وتميل كتب التاريخ المدرسية حالياً إلى الالتزام بمنهج أقل تبنيّاً للمنظور الأوروبى عند تناول الحركة الاستعمارية، فىقوم بعضها باستخدام منهج قائم على الأسئلة البحثية، ويسعى إلى إثارة اهتمام التلاميذ بعدد من القضايا المتعلقة بجوانب مختلفة من الحركة الاستعمارية مع تشجيعهم على تكوين آرائهم ووجهات نظرهم الخاصة من خلال التعرف على عدد من المصادر التاريخية والتأويلات المتنوعة. إلا أن واقع الحال يشير إلى أن وجهات النظر والمصادر التاريخية المتصلة بتجارب ومواقف الشعوب



الخاضعة للاستعمار في العالم العربي الإسلامي ما زالت غير ممثلة بالقدر الكافي في كتب التاريخ المدرسية الأوروبية.

وفي سبيل مساعدة التلاميذ على تنمية فهم أكثر عمقاً فيما يتعلق بالاستعمار الأوروبي، نجد أنه من المفيد لو قام مؤلفو الكتب المدرسية في أوروبا والعالم الإسلامي بتعزيز معرفة التلاميذ وفهمهم للسمات الخمسة المميزة للحركة الاستعمارية، وهي كما يلي :

- كانت الحركة الاستعمارية الأوروبية من أهم التطورات التي شهدتها تاريخ العالم. فقد أدت إلى استيلاء أوروبا على مساحات شاسعة من الأراضي خارج حدود القارة الأوروبية، مما عمل على تدعيم الخزانات العامة في أوروبا والجيوش والأعمال التجارية والكنيسة وذلك على نطاق كبير جداً.
- تم فرض الاستعمار بقوة السلاح على البلاد التي تم اجتياحها. فقد كان العنف سابقاً على الاستعمار ثم استمر بعد الاستيلاء على الأراضي خارج الحدود الأوروبية.
- كان الاستغلال الاقتصادي هو الدافع الأساسي من وراء التوسع الاستعماري. وقد أدت الرغبة في تحقيق المكاسب والمغانم إلى إقامة بنى تحتية في البلاد الخاضعة للاستعمار.
- صارت العلاقات بين القوى الاستعمارية والشعوب الخاضعة للاستعمار غير متوازنة على الإطلاق. فلم يتم التعامل مع أبناء الشعوب الخاضعة للاستعمار باعتبارهم مواطنين، واعتاد المستعمرون تبني مواقف سلطوية أبوية في البداية، كانت تتحول إلى مواقف قمعية عند ظهور بوادر أي احتجاج سياسي أو اقتصادي.
- سعت القوى الاستعمارية إلى فرض لغاتها وثقافتها على الشعوب الخاضعة للاستعمار.

ومن المهم أن يدرك التلاميذ السمات المميزة للاستعمار الأوروبي، إلا أنه يجب في الوقت ذاته على المدرسين ومؤلفي الكتب الدراسية تشجيع التلاميذ على إدراك التجارب والمواقف المختلفة التي تبنتها شعوب المجتمعات الاستعمارية. فقد تبنت الدول الأوروبية سياسات استعمارية متباينة، كما أن الناس المنتمين إلى الحركة الاستعمارية الأوروبية جاءوا من خلفيات متنوعة وكانوا نتاجا للسياقات الثقافية والسياسية التي نشأوا فيها. وهكذا اتخذت علاقة الأوروبيين بشعوب العالمين العربي والإسلامي أشكالاً عديدة ومتنوعة جديرة بالدراسة الدقيقة، إذ كان داخل البلاد الأوروبية نفسها من تبنا آراء معادية للاستعمار. ويتعين على مؤلفي الكتب المدرسية السعي إلى توعية



مسجد قبة الصخرة في القدس وخلفه كنيسة مريم المجدلية

التلاميذ بتنوع تجارب الناس خلال فترة الاستعمار الأوروبي، وذلك بالتنويه إلى بعض الدول الأوروبية التي لم تركب موجة المد الاستعماري الأوروبي، وإلى أن العديد من الشعوب الأوروبية تندد بالسياسات الاستعمارية وتدينها.

● أوروبا والصراع العربي - الإسرائيلي

إن من أكثر الموضوعات الحساسة التي تتناولها كتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالم العربي الإسلامي هي مسألة الصراع العربي-الإسرائيلي. وهو صراع ذو جذور عميقة، ولكن مما لاشك فيه أن أوروبا لعبت دوراً مهماً في هذا الصراع، وبخاصة من خلال وعد بلفور واتفاقية سايكس-بيكو، وتصويت الدول الأوروبية في الأمم المتحدة عام 1947م في صالح التقسيم، ما أدى إلى ظهور دولة إسرائيل. ولذلك، يجب تعريف النشء في أوروبا والعالم العربي بهذه الأحداث التاريخية التي أسهمت في النزاع إلى جانب دور القوى الخارجية. كما يجب على الكتب المدرسية الجديدة في أوروبا والعالمين العربي والإسلامي أن تراجع مختلف أشكال التشويه القائمة وأن تعرّف التلاميذ بالروايات المختلفة الموجودة في هذا الإطار.

ويتعين على مؤلفي هذه الكتب تناول الأحداث المهمة بأسلوب موضوعي واضح، كما يجب عليهم تقديم وجهات النظر والمصادر التي تتيح للتلاميذ التوصل إلى فهم للأسباب التي تجعل من تلك الأحداث التاريخية مجالاً لمقاربة منهجية قائمة على تعددية المنظور باعتبارها الأمل الوحيد للدراسة الصحيحة للصراع العربي-الإسرائيلي، ذلك أن بعض كتب التاريخ المدرسية الأوروبية تميل إلى التبسيط المفرط في عرض أصل الصراع وأسبابه، إذ تكتفي بالإحالة إلى ذلك دون إبراز تداعيات وعد بلفور على العلاقات في الشرق الأوسط. كما تتجاهل بعض هذه الكتب وضع اسم فلسطين على الخرائط، مما يحول دون توعية التلاميذ بحقيقة الصراع وقرارات الشرعية الدولية.

وفي مقابل ذلك، ينبغي لكتب التاريخ المدرسية في العالمين العربي والإسلامي إبراز بعض المواقف الأوروبية الإيجابية في هذا الإطار، وذلك بأن توجه أنظار التلاميذ إلى أن الاتحاد الأوروبي يدعم حلّ الدولتين على أساس قرارات الشرعية الدولية، ويُعارض السياسات الاستيطانية الإسرائيلية. وهذه مواقف مهمة ينبغي لكتب التاريخ المدرسية في العالمين العربي والإسلامي التنويه إليها.



الخاتمة

إن هذا الدليل الإرشادي نتاج لعملية تفكير جماعية شارك فيها خبراء من أوروبا والعالمين العربي والإسلامي، بهدف تعزيز قيام فهم أعمق للتعقيدات الكامنة في صور التلاقي الثقافي، بالشكل الذي يتم تناولها به، أو يمكن تناولها به، في كتب التاريخ المدرسية. وسوف يجد المدرسون والمربون ومؤلفو الكتب المدرسية والناشرون الراغبون في حدوث تفاهم وتعايش بين الشعوب والثقافات، في هذا الدليل مجموعة من الأفكار المتعلقة بالسبل التي يمكن أن يثري بها تدريس التاريخ معرفة التلاميذ بالثقافات الأخرى وأن ينمي قدراتهم في التفكير النقدي. ويقترح هذا الدليل بعض الأساليب القابلة للتطبيق في بناء سياقات محفزة على التعلم، كما يوصي بعدد كبير من المصادر الوثائقية، ويتيح بعض المقاربات المنهجية التربوية المفيدة في مساعدة النشء في دراسة القضايا التاريخية المثيرة للجدل والمتسمة بالحساسية. ويتم تشجيع مستخدمي هذا الكتاب على تضمين المقاربات المنهجية متعددة المنظور، وعلى تبني مواقف تربوية جديدة ليتيحوا للتلاميذ رؤية أكثر اتساعاً فيما يتعلق بالتبادل الثقافي، وليدعموا التعايش السلمي بين شعوب أوروبا والعالمين العربي والإسلامي.

وإننا نجد اليوم، وعبر التاريخ، أرضية مشتركة في أساس تجربة الوجود الإنساني، فكلنا تقريباً نعيش نفس لحظات البهجة والألم، ونشارك في تجارب الطفولة والنمو والأسرة، وتربية

الخلاف مع أقربائنا المقربين. ويمكننا أن نتلاقى بوصفنا بشراً مشتركين في تجاربنا الفريدة والمتشابهة من حيث العناية بأحبائنا أو البهجة عند ميلاد طفل أو الحزن لفقد صديق. إننا متشابهون في جهودنا من أجل اكتساب الثقة بالنفس، وفي سبيل الكرامة والسعادة، ومعظمنا مرّ بأزمة داخلية ربما تكون قد أصابتنا في لحظات المعاناة الشخصية. وإننا نشترك في اهتمامنا وقلقنا على العالم الذي نحيا فيه جميعاً، ونتحد في تطلعنا إلى الأمان والحياة التي تحمل معنى وسعادة لكل البشر. إنها الأرضية المشتركة التي يمكننا اتخاذها نقطة انطلاق لنا في مسعانا للتعبير عن رأي بئاء بشأن التعددية ننقله للأطفال والنشء. إننا، نحن العرب والمسلمين والأوروبيين نمضي على درب مشترك

● تدريس التاريخ

- Adwan, S./Bar-On, D. (eds.) 2002. *Learning Each Other's Historical Narrative. Palestinians and Israelis*. Beit Jala, Peace Research Institute in the Middle East (PRIME), (Arabic, Hebrew, French and Italian translations available).
- Barton, K./Levstick, L. 2004. *Teaching History for the Common Good*. New Jersey, Lawrence Erlbaum Associates, Inc.
- Biener, H. 2006. *Herausforderungen zu einer multiperspektivischen Didaktik*. Hamburg-Schenefeld, EB-Verlag.
- Choppin, A. 1992. *Les Manuels scolaires: histoire et actualité*. Paris, Hachette Education.
- Dalongeville, A. 1995. *Enseigner l'histoire à l'école*. Paris, Hachette Education.
- Department for Education and Employment 1999. *History: The National Curriculum for England*. London, HMSO. www.nc.uk.net.
- Falaturi, A./Tworuschka, U. 1992. *A Guide to the Presentation of Islam in School Textbooks*. Cologne, Centre for the Study of Islam and Christian-Muslim Relations.
- Foster, S.J./Crawford, K.A. (eds.) 2006. *What Shall We Tell the Children? International Perspectives on School History Textbooks*. Greenwich, CT, Information Age Publishing.
- Hassani Idrissi, M. 2005. *Pensée historienne et apprentissage de l'histoire*. Paris, l'Harmattan.
- Haußmann W. & al. (eds.) 2006. *Handbuch Friedenserziehung: interreligiös – interkulturell – interkonfessionell*. Gütersloh, Gütersloher Verlagshaus.
- Heimberg C. 2002. *L'histoire à l'école. Mode de pensée et regards sur le monde*. Issy-les-Moulineaux, ESF éditeur.
- Heimbrock, H.G. & al. (eds.) 2001. *Towards Religious Competence. Diversity as a Challenge for Education in Europe*. Hamburg, LIT.
- Historical Association. 2005. *Teaching Emotive and Controversial History 3-19*. London, The Historical Association.
- Hock, K./Lähnemann, J./Reiss, W. (eds.) 2006. *Schulbuchforschung im Dialog. Die Darstellung des Christentums in Schulbüchern islamisch geprägter Länder*. Frankfurt, Lembeck (= Beiheft der Zeitschrift für Mission 5).

Keast, J. (ed.) 2006. *Religious Diversity and Intercultural Education: a Reference Book for Schools*. Council of Europe, CDED 14, Strasbourg.

Kecep K./Oddbjorn L./ Al Ashmawi F. 2007. *Teaching for Tolerance in Muslim Majority Societies*. Istanbul, dem.

Konrad-Adenauer-Stiftung (ed.) 2006. *Dialoguer avec autrui, se questionner sur soi-même. Islam et Christianisme, éducation et progrès. Tunis (English version available)*.

Lähnemann, J. (ed.) 1983-2006. [Documentations of the international conferences, Nürnberger Forum I-IX“ on interreligious education], 9 volumes. Hamburg-Schenefeld: EB-Verlag (= Pädagogische Beiträge zur Kulturbegegnung Vol. 1, 3, 7, 10, 14, 16, 20, 23, 26).

Le Pellec, J./Marcos-Alvarez, V. 1991. *Enseigner l'histoire, un métier qui s'apprend*. Paris, Hachette Education.

Leirvik, O./Kaymakcan, R. 2006. *Teaching for Tolerance in Muslim Majority Societies*. Istanbul,

Moniot H. 1993. *La didactique de l'histoire*. Paris, Nathan.

Phillips, R. 1998. *History Teaching, Nationhood, and the State: A Study in Educational Politics*. London, Cassell.

Prost A. 1996, *Douze leçons d'histoire*. Paris , Seuil.

Schreiner, P. & al. 2007. *Religious Education in Europe. Situation and current trends in schools*. Oslo, IKO.

Schreiner, P./Sieg, U./Elsenbast, V. (eds.) 2005. *Handbuch Interreligiöses Lernen*. Gütersloh, Gütersloher Verlagshaus.

Shephard, C. 1991. *Contrasts and Connections Pupil's Book (Discovering the past)*. London, Hodder Murray.

Stradling, R. 2003. *Multiperspectivity in History Teaching : a Guide for Teachers*. Council of Europe, Strasbourg, www.coe.int/dialogue.

Wineburg, S. 2001. *Historical Thinking and Other Unnatural Acts*. Philadelphia, Temple University Press.

Al Ashmawi, F. 1996. "Etude comparative des manuels scolaires d'Histoire des pays des deux rives de la Méditerranée" in *Méditerranée Espace de Cultures et de Civilisations*. Paris: Publications Institut Robert Schuman.

Al Ashmawi, F. 2007. *The Image of Islam and Muslims in Occidental Curricula*.

● دراسات تتناول الكتب المدرسية

Tripoli, World Islamic Call Society (in Arabic).

Brown, N. 2001. *Democracy, History, and the Contest over the Palestinian Curriculum*. Washington/DC.

Center for Monitoring the Impact of Peace (ed.) 1998. *Palestinian Authority School*

Textbooks. Jerusalem-New York (2nd ed. March 2001). 2000.

Antisemitism in the Textbooks of the Palestinian Authority and Syria. Jerusalem-New York. 2000.

Marcus, I. The New Palestinian Authority School Textbooks for Grades One and Six. Jerusalem-New York. 2000.

Marcus, I. Palestinian Authority Teachers' Guides. Jerusalem-New York. 2000.

Yovel A. Arabs and Palestinians in Israeli Textbooks. Jerusalem-New York. 2001.

Groiss, A. Jews, Zionism and Israel in Syrian School Textbooks. Jerusalem-New York. 2002.

Groiss, A. Jews, Israel and Peace in the Palestinian Authority Textbooks and High School Final Examinations. A Complementary Report. Jerusalem-New York. 2003.

Groiss, A. The West, Christians and Jews in Saudi Arabian Schoolbooks. Jerusalem-New York. 2004.

Groiss A. Jews, Christians, War and Peace in Egyptian Textbooks. Jerusalem-New York.

Doumato, E.A./Starrett G. (eds.) 2006. Teaching Islam: Textbooks and Religion in the Middle East. Boulder, CO, Lynn Rienner Publishers.

Fadl, S. Et al., A Project on the Image of Arab-Islamic Culture in European Textbooks: Spain as a Case Study. The Egyptian National Commission for UNESCO, 2005.

Falaturi, A./Tworuschka, U. (eds.) 1986-1990. Der Islam in den Schulbüchern der Bundesrepublik Deutschland. 7 volumes, Braunschweig, GEI 1992. A Guide to the Presentation of Islam in School Textbooks. Birmingham (= CSIC Papers Africa/Europe No. 8).

Firer, R./Adwan, S. 2004. The Israeli-Palestinian Conflict in History and Civics Textbooks of Both Nations. Hannover (= SIS 110/1).

Georg-Eckert-Institut für Internationale Schulbuchforschung (ed.) 2003. Contested Past, Disputed Present. Curricula in Israeli and Palestinian Schools. Hannover (= SIS 110/2).

Hassan-Idrissi, M. 2008. "Europa en la enseñanza de la historia en Marruecos: un puesto privilegiado y una percepción ambivalente" in Luigi Cajani (director), Conociendo al otro: El islam y Europa en sus manuales de historia. Informe de la Fundacion Atman. Madrid, Santillana, 215-244.

Hock, K./Lähnemann, J./Reiss, W. 2006. Schulbuchforschung im Dialog. Frankfurt, Lembeck.

Ihtiyar, N./Jalil, S./Zumbrink, P. 2004. "Der Islam in deutschen Schulbüchern (1995-2002)" in ISF, 26, 223-288, Braunschweig, GEI.

Israeli/Palestine Center for Research and Information (ed.) 2003. Analysis and Evaluation of the New Palestinian Curriculum. Reviewing Palestinian Textbooks and



Tolerance Education Program. Jerusalem.

Nicholls, J. 2003. "Methods in School Textbook Research" in International Journal of Historical Learning Teaching and Research, 3, 2. pp?

Ozdogan, H./Rickers, F./Al ashmawi, F. 2001. Islam im Schulbuch. Bonn, Spohr.

Pingel, F. 1999. UNESCO Guidebook on Textbook Research and Textbook Revision. Hanover, Hahnsche Buchhandlung, Studien zur Internationalen Schulbuchforschung.

Podeh, E. 2003. "Recognition without legitimization. Israel and the Arab-Israeli conflict in Egyptian history textbooks" in ISF, 25, 371-398. Braunschweig, GEI.

Reiss, W. 2003. Europa - Der Erzfeind der islamisch-arabischen Kultur? Die Darstellung des Christentums in ägyptischen Schulbüchern" in Tamcke, M. (ed.) Koexistenz und Konfrontation. Hamburg, LIT, 35-49. 2004.

"Visions of Society and Peace Education in Palestinian Textbooks" in Ministry of Education and Higher Education (ed.) Palestinian School Textbooks. A Collection of Reports and Articles. Ramallah, 21-40. 2005.

"Religiöse Toleranz und die Erziehung zu Demokratie und Gleichberechtigung in palästinensischen Schulbüchern" in Polis 1 , 17-19. 2005. Die Darstellung des Christentums in Schulbüchern islamisch geprägter Länder. Band 1: Ägypten und Palästina. Hock, K./Lähnemann, J./Reiss W. (ed.), Hamburg EB-Verlag. 2007. "Hoffnungsvolle Perspektiven zur Revision von Schulbüchern im Nahen Osten" in CIBEDO-Beiträge 1/2007. Frankfurt: CIBEDO, 13-25.

Rogers, P. 1984. Islam in History Textbooks. London, School of Oriental and African Studies.

Wurmser, M. 2000. The Schools of Baathism. A Study of Syrian Schoolbooks. Washington, Middle East Media Research Institute.

ALECSO. 2007. Reference Book in the History of the Arab Nation, Volume III. Tunisia (in Arabic).

Atiya, A.S. 1962. Crusade, Commerce and Culture. Bloomington, Indiana University Press.

Balard, M. 1973. Gênes et l'outremer, 2 volumes. Paris-La Haye, Mouton.

Bartley, P./Bourdillon, H. 1993. Medieval Islam (Past Historic). London, Hodder Arnold H&S.

Baumont M. 1978. L'essor industriel et l'impérialisme colonial 1878-1904. Paris, PUF.

Braudel F. 1990. La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Paris, Armand Colin, (rééd.) (trois tomes).

Brunschwig H. 1960. Mythe et réalité de l'impérialisme colonial français 1871-1914. Paris, Armand Colin.

● دراسات في التاريخ

- Bulliet, R.W.* 2006. *The Islamo-Christian Civilization, its Past, its Future* (translated into French from English by Paul Chemla). Paris, Flammarion.
- Cardini, F.* 2001 *Europe and Islam (Making of Europe)*. Boston, Blackwell Publishers
- Child, J* 1995. *The Rise of Islam (Heinemann History Study Units)*. London, Heinemann Library.
- Corbin, H.* 1986. *Histoire de la philosophie islamique*. 2e ed. Paris, Gallimard.
- Courbage Y./Fargues P.* 1997. *Christians and Jews under Islam*. London, I.B.Tauris
- Creswell, K.A.C.* 1932-40. *Early Muslim Architecture: Umayyads, Early Abb?sids and T?l?nids*. 1.2. Oxford (2e ed. New York 1979)
- Crouzet-Pavan, E.* 1999. *Venise triomphante. Les horizons d'un mythe*. Paris, Albin Michel.
- Culpin, C./Macdonald, F.* 1995. *Collins History Connections 1. Medieval Realms 1066- 1500, The World of Islam*. London, Collins Educational.
- Darwin, J.* 2007. *After Tamerlane: The Rise and Fall of Global Empires 1400-2000*. London, Allen Lane.
- Dimier V.* 2004. *Le gouvernement des colonies , regards croisés franco-britanniques*. Bruxelles, Edition de l'Université de Bruxelles.
- Donner, F.M.G.* 1981. *The Early Islamic Conquests*. Princeton, N.J.
- Fakhry, M.* 1979. *History of Islamic philosophy, Beirut, The unified edition. (in Arabic)*.
- Fattal A.* 1995. *Le statut legal des non-musulmans en pays d'islam*. Beyrouth, Dar El-Machreq.
- Ferro M.* 1994. *Les colonisations*. Paris: Seuil.
- Gabrieli F./Guillou A./Lyon B.* 1987. *Mohammed und Karl der Große (die Geburt des Abendlandes)*. Stuttgart, Belser.
- Gabrieli, F.* 1982. *Moametto in Europa*. Milano, Arnoldo Mondadori.
- Goffman, D.* 1990. *Izmir and the Levantine World, 1550-1650*. Seattle (Wash.), Washington University Press.
- Grabar, O.* 1977. *Die Entstehung der islamischen Kunst*. Cologne.
- Guillaume P.* 1974. *Le monde colonial XIX, XX e siècle-* Paris, Armand Colin.
- Harvey, L.P.* 1990. *Islamic Spain*. Chicago, University of Chicago Press
- Hillenbrand, C.* 1999. *The Crusades: Islamic Perspectives*. Edinburgh, Edinburgh University Press.



- Hillenbrand, R. 1999. *Islamic Art and Architecture*. London, Thames and Husdon.
- Hourani, A. 1991. *A History of the Arab Peoples*. London, Faber and Faber.
- John L.Esposito, *The Islamic Threat : Myth or Reality ?* 3rd edition, Oxford University Press Inc,1999
- Jotishsky, A. 2004. *Crusading and the Crusader States*. London: Pearson
- Karabell, Z., 2007. *People of the Book: The Forgotten History of Islam and the West*. London, John Murray.
- Karen Armstrong, *Holy war: The Crusades and their Impact on Today's World*, Anchor books, New York 2001
- Kasim Abduh Kasim, *the Truth about Crusades*, Alam Al-Maarifa Series, Issue 149, Kuwait, May 1990 (in Arabic).
- Kernaghan, P. 1993. *The Crusades. Cultures in Conflict*. (Cambridge History Programme Key Stage 3). Cambridge, Cambridge University Press.
- Khoury, A.T. 1980. *Toleranz im Islam*. München, Chr. Kaiser Verlag.
- Kotzur H.-J. (ed.) 2004. *Die Kreuzzüge (Kein Krieg ist Heilig)*. Mainz, Philipp von Zabern.
- Lewis, B. 1982. *The Muslim Discovery of Europe*. New York, Norton.
- Lewis, B. 1984. *The Jews of Islam*. Princeton, N.J., Princeton University Press.
- Liauzu, C. (ed.). 2003. *Violence et colonisation: pour en finir avec les guerres de mémoires*. Paris, Syllepses. 2004. *Colonisation: droit d'inventaire*, Paris, Armand Colin
- MacLean, G. 2006. *The Rise of Oriental Travel: English Visitors to the Ottoman Empire, 1580-1720*. Basingstoke, Palgrave Macmillan.
- Marshall, G./Hodgson, S. 1998. *Islam in the World History* (texts translated into French from English and prefaced by Abdesselam Cheddadi). Paris, Sindbad.
- Mayer, H.E. 1972. *The Crusades*. Oxford, Oxford University Press
- Menocal, M.R. 2002. *The Ornament of the World: How Muslims, Jews and Christians Created a Culture of Tolerance in Medieval Spain*. New York, Little Brown and Company.
- Michel M. 1993. *Décolonisations et émergence du Tiers Monde*. Paris, Hachette.
- Miège J.-L. 1968. *L'impérialisme colonial italien*. Paris, S.E.D.E.S.
- Pervillé G. 1993. *De l'empire français à la décolonisation*. Paris, Hachette, Education.
- Rozenberg, D. 2003. *Relectures du passé médiéval juif et musulman dans l'Espagne des autonomies, Espagne: la mémoire retrouvée BDIC, 70, 75-83*
- Runciman, S. 1951-54. *A History of the Crusades*, vol 1-3. Cambridge, Cambridge

University Press

Thiriet F. 1952. *Histoire de Venise*. Paris, PUF, « Que sais-je ? ».

Vergé-Franceschi, M. 1991. *Guerre et commerce en Méditerranée: IXe-XXe siècles*. Paris, Veyrier.

Watt W.M. 1972. *The Influence of Islam on Medieval Europe*, Edinburgh, Edinburgh University Press.

Yacono X. 1994. *Les étapes de la décolonisation française* , Paris: PUF , « Que sais-je ? »



